
القافلة
رجب ١٤٠٥هـ مارس/ابريل ١٩٨٥م
منتجات الألبان
في المملكة العربية السعودية
تسهم في تحقيق أهداف الأمن الغذائي

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN
MARCH / APRIL 1985

العدد السابع/ المجلد الثالث والثلاثون
رجب ١٤٠٥هـ مارس/ ابريل ١٩٨٥م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية
توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك

الغلاف

منتجات الألبان
في المملكة العربية السعودية
تسهم في تحقيق أهداف الأمن الغذائي

تصوير: شيخ أمين - عبدالله دبيس

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام
Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



عالم الطيران



أشعة لازر...
مبضع ناجع لأمراض العيون

قضية السحر... في القرآن

بقلم: الدكتور أحمد جمال العمري/جدة

خلق الله الكون فأبدعه، وسيّره وفق إرادته ومشيئته، وجعل كل كائن من الكائنات يسير وفق المنهج المرسوم له منذ الأزل، فلا تأثير في حركة مخلوق ما إلا بارادة الله، الذي قدر فهدى، منذ أن كان هذا المخلوق جنينا في بطن أمه، وقدَّر له نوعه، وأجله ورزقه، وشقيّ أم سعيد. فلا ينتهي عمر انسان بظهور كوكب أو اختفائه، ولا يزيد رزق امرىء ولا ينقص عما قدره الله تعالىٰ له، فكل شأن من شؤون الحياة مسير بحكمة اللطيف الخبير.

فان استطاع انسان أن يعلم شيئاً نتيجة لاتصاله بالكواكب، وتعظيمه لها، أو اتصاله بالجن والشياطين، واستطاع بذلك العلم ان يؤثر في قوانين الحياة، ويتحكم في مسيرات البشر بما يخرجها عما قدر لها، يكون بذلك قد خالف شرعة الله، التي أوضحها في كتابه المجيد، وتجاوز الحدود التي وضعت له، وخرج عن قانون الحنيفية السمحة، فلا جرم ان يحكم عليه بالكفر، لاستعانته بغير الخالق، واثباته التأثير في خلق الله.

إن المؤمن يعلم ــ بما علّمه العليم، أن الساحر قد يستطيع بما اكتسبه من علم، إيصال الاضرار والأذى الى الناس بالسحر، وقد يصل بذلك الى التفريق بين المرء وزوجه، ولكنه لا يستطيع ان يفعل ذلك إلا باذن الله سبحانه، ووفق ما قدر الله ــ العليم الخبير ــ في اللوح المحفوظ.

وهنا نقف قليلا لنتســاءل:

★ ما معنى السحر.. وهل ورد السحر في القرآن.. وفي أي مناسبة؟

★ ومتى ظهر السحر على الأرض.. وفي أي عصر؟

★ ما قصة الملكين هاروت وماروت اللذين نزلا الى الارض ليعلّما الناس السحر؟

★ ما أنواعه؟

★ وهل سُحر الرسول، ﷺ؟

★ ما موقف العلماء، والأئمة الفقهاء من قضية السحر؟.. وما حكم الشرع على الساحر؟

★ وأخيرا.. هل يمكن إبطال مفعول السحر.. وكيف؟

معنى السحر:

السحر ــ في اللغة ــ معناه: كل ما لطف مأخذه ودقّ..

قال الأزهري: «واصل السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه ــ أي صرفه» [1]

وقال الجوهري: السحر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، وسحَره أيضا بمعنى خدعه» [2].

وقال القرطبي: السحر أصله التمويه بالحيل، وهو ان يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور انها بخلاف ما هو به، كالذي يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه انه ماء. وهو مشتق من سحرت الصبي اذا خدعته؛ قال لبيد:

فان تسألينا فيم نحن فاننا
عصافير مِنْ هذا الأنام المسحَّر

وقال الألوسي: السحر في الأصل مصدر: سَحَر يَسْحَر: بفتح الحاء فيهما ــ إذا أبدى ما يدق ويخفى، وهو من المصادر الشاذة، ويستعمل بما لطف وخفى سببه، والمراد به: أمر غريب يشبه الخارق. [3]

وقال الرازي: السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحرا» وسمي السحور ــ في رمضان بذلك ــ لكونه يقع خفيا آخر الليل، والسحر الرئة، وهي محل الغذاء وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها الى اجزاء البدن

وغضونه، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: «انتفخ سحره» أي انتفخت رئته من الخوف، وقالت عائشة — رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ، بين سحري ونحري» وقال تعالى ﴿**سَحَروا أعينَ الناس**﴾ أي أخفوا عنهم عملهم.

والسحر.. شرعا: ضَرَرٌ مودع، إذا شاء الله تعالى حال بينه وبين المسحور، وإذا شاء خلاه حتى يصيبه ما قدره الله تعالى له، وهذا مذهب السلف في الأسباب والمسببات، فكل شيء بارادة الله ومشيئته»(٤)

متى ورد ذكر السحر في القرآن؟:

ورد ذكر السحر في القرآن في معرض تقريع أحبار اليهود وعلمائهم الأوائل، الذين نبذوا التوراة — كتاب الله المنزل على موسى، عليه السلام، وتابعهم أحفادهم اليهود حيث نبذوا القرآن المنزل على النبي العربي الأمي — ﷺ — مع أن الرسول جاء مصدقاً لما بين أيديهم من التوراة، ولكن الأحفاد كانوا كالأجداد يجنحون الى العناد والاستعلاء، لأنهم ورثوا البغي والافساد.

لقد وقف اليهود من الرسول ﷺ موقف المعاند، ورفضوا الانصياع لأوامر الله، وكأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله.. واتبعوا طرق السحر والشعوذة التي ورثوها عن الأقدمين واتصلوا بالجن والشياطين، تماما كما حدث على عهد سليمان عليه السلام.

وكان السحر قبل ذلك موجودا في الأرض لم يزل بها، ولكنه انتشر واتبع على ملك سليمان. ويقول الحسن البصري: «وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود صحيحاً لا شك فيه، لأن السحرة كانوا في زمان موسى، عليه السلام، وسليمان بن داود بعده، كما قال تعالى: ﴿**ألم تر الىٰ الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى**﴾ (البقرة/٢٤٦) ثم ذكر القصة بعدها، وفيها: ﴿**وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه ما يشاء**﴾ (البقرة/٢٥١).

وكان السحر موجودا كذلك في قوم «صالح»، وهم قبل «ابراهيم» الخليل، عليه السلام، لذا قالوا لصالح، عليه السلام: إنما ﴿**أنت من المسحّرين**﴾ أي المسحورين (الشعراء/١٥٣).

وقال المفسرون في الآية ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين**﴾ (البقرة/١٠٢) قالوا: ثلث الشعر، وثلث السحر، وثلث الكهانة.(٥) وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿**ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون، أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان**﴾ (البقرة/ ٩٩ — ١٠٢).

قال ابن جرير: أي أنزلنا اليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوّتك، وتلك الآيات هي ما حواه كتاب لله من خفايا علوم اليهود، ومكنونات سرائر أخبارهم، وأخبار أوائلهم من بني اسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم، وما حرفه أوائلهم وأواخرهم، وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة، فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ، فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه، ولم يدعها الى هلاكه الحسد والبغي، اذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد — ﷺ — من الآيات البينات التي وصف من غير تعلمه من بشر، ولا أخذ شيئا منه عن آدمي.

وقال مالك بن الصيف: حيث بعث رسول الله — ﷺ — وذكّرهم ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد اليهم في محمد ﷺ، قالوا: والله ما عهد إلينا في محمد، وما أخذ علينا ميثاقا، فأنزل الله تعالى: ﴿**أوَ كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم**﴾.

قال الحسن البصري: في قوله تعالى: ﴿**بل أكثرهم لا يؤمنون**﴾.. نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم وينقضون غداً.

وقال ابن كثير: فالقوم ذمهم الله بنبذهم العُهُود، التي تقدم الله اليهم في التمسك بها، والقيام بحقها ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث اليهم، والى الناس كافة، الذي في كتبهم نعته وصفته واخباره، وقد امروا فيها باتباعه ومؤازرته ونصرته — كما قال الله تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل**﴾. وقال ههنا: ﴿**ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم**﴾ الآية.. أي طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد، ﷺ، ووراء ظهورهم أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه، ولهذا ارادوا كيدا برسول الله.

وقال السدي: لمّا جاءهم الرسول عارضوه بالتوراة، فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فذلك قوله ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾.

أخرج ابن أبي حاتم بإسناد عن ابن عباس، رضي الله عنهما — قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا، وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها، فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه، حتى أنزل الله على محمد، ﷺ، ﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**﴾ (٦)

ويوضح الربيع بن أنس هذا الأمر، فيقول: إن اليهود سألوا محمداً،

ﷺ، زمانا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله الينا منا، وانهم سألوه عن السحر وخاصموه، فانزل الله عز وجل ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**﴾ وان الشياطين عمدوا الى كتاب، فكتبوا فيه السحر والكهانة، فلما فارق سليمان الدنيا، استخرجوا ذلك السحر، وخدعوا الناس، وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه، ويحسده الناس عليه، فأخبرهم النبي ﷺ بهذا الحديث، فرجعوا من عنده، وقد ادحض الله حجتهم (٧). وكما اتبع رؤساء اليهود السحر والشعوذة على عهد سليمان، كذلك اتبعوا ما أنزل على الملكين «هاروت وماروت» بمملكة بابل. فما هي قصة الملكين.. وما صلتهما بالسحر؟

يقول بعض العلماء.. انه قد كثر السحر في ذلك الزمان — على عهد سليمان، وأظهر السحرة أمورا غريبة وقع بسببها الشك في النبوة، فبعث الله تعالى الملكين لتعليم أبواب السحر، حتى يزيلا الشبه، ويميطا الأذى عن الطريق.

ويقول الامام أحمد بن حنبل — باسناد عن ابن عمر: انه سمع نبي الله — ﷺ، يقول: إن آدم عليه السلام لما اهبطه الله الى الارض، قالت الملائكة اي الله ﴿**أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: اني أعلم ما لا تعلمون**﴾ (البقرة/٣٠) قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا ربنا: «هاروت وماروت» فأهبطا الى الأرض، ومثلت لهما «الزهرة» امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك، فقالا: والله لا نشرك بالله شيئا أبدا، فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، فقالا لا والله لا نقتله أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبي. فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا».

وفي رواية — عن ابن عباس: فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة، أرادا أن يصعدا الى السماء، فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة الى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا انه من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض» فقيل لهما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فانه ينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل فهما يعذبان.

وأضاف قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فاخذ عليهما ان لا يعلمان احدا حتى يقولا: «انما نحن فتنة فلا تكفر: وكانا يحذران الناس في عصرهما من تعلم السحر واستخدامه في الأذى والضرر، وكانا اذا علما أحداً قالا له: «إنما هذا امتحان من الله وابتلاء، فلا تكفر بسببه، واتق الله فلا تستعمله في الاضرار» (٨)

وهنا يلمع سؤال في الذهن.. إذا كان السحر موجودا في الدنيا باعتراف القرآن.. فما أنواعه؟ وما الفرق بين السحر والمعجزة؟

ذكر أبو عبدالله الرازي — في تفسيره — أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكذابين واللشدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة، وكانوا يعتقدون انها مدبرة العالم، وانها تأتي بالخير والشر، وهم الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل — ﷺ — مبطلا لمقالتهم، ورادا لمذهبهم.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية: وقد استدل على أن الوهم له تأثير بأن الانسان يمكنه أن يمشي على الجذع الموضوع على وجه الارض، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودا على نهر أو نحوه، قال: وكما أجمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان أو الدوران، وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطيعة للأوهام. قال: وقد اتفق العقلاء على ان الاصابة بالعين حق، والدليل على ذلك: قول النبي، ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

قال: فاذا عرفت هذا فنقول: النفس التي تفعل هذه الافاعيل، قد تكون قوية جدا، فتستغني في هذه الأفاعيل عن الاستعانة بالآلات والادوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات. وتحقيق ذلك: إن النفس إذا كانت مستعلية على البدن، شديدة الانجذاب الى عالم السموات، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية. فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم، أمّا إذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية، فحينئذ لا يكون لها تأثير البتّة إلا في هذا البدن.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن. والجن على قسمين: مؤمنون وكفار، وهم الشياطين. قال: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب. ثم أن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا ان الاتصال بهذه الأرواح الأرضية — أي الجن — يحصل بأعمال قليلة من الرّقى والدخن

والتجريد، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

الرابع: التخييلات، والأخذ بالعيون والشعبذة، ومبناه على أن البصر قد يخطىء ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، الا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر على شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم اليه حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق نحوه، عمل شيئا آخر بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جدا، ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد ان يعمله، ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى: ﴿**فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم**﴾ (الاعراف/١١٦) وقال تعالى: ﴿**فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى**﴾ (طه/٦٦) قالوا: ولم تكن تسعى في نفس الامر. والله أعلم.

الخامس: الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد. ومنها الصور، التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونها ضاحكة وباكية، فهذه الوجوه من لطيف أمور التخايل.

قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل، يعني ما قاله بعض المفسرين: انهم عمدوا الى تلك الحبال والعصي، فحشوها زئبقا، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل الى الرائي انها تسعى باختيارها.

السادس: الاستعانة بخواص الأدوية، يعني في الأطعمة والدهانات.

قال: واعلم ان لا سبيل الى انكار الخواص، فان تأثير المغناطيس مشاهد.

قال ابن كثير: ويدخل في هذا القبيل كثير مما يدعي الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيا انها أحوال له من مخالطة النيران، ومسك الحيات، الى غير ذلك من المحالات.

السابع: التعليق للقلب. وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الاعظم، وان الجن يطيعونه، وينقادون له في اكثر الامور، اذا اتفق ان يكون ذلك السامع ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد انه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر ان يفعل شيئا.

الثامن: السعي بالنميمة، والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة، وذلك شائع في الناس. قال ابن كثير: النميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش بين الناس، وتفريق قلوب المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه. فأما إن كانت على وجه الاصلاح بين الناس، وإئتلاف كلمة المسلمين، كما جاء في الحديث: «ليس بالكذاب من ينم خيرا».

أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث «الحرب خدعة».

وكما فعل «نعيم بن مسعود» من تفريقه بين كلمة الاحزاب وبين قريظة، جاء الى هؤلاء، فنمى اليهم عن هؤلاء كلاما، ونقل من هؤلاء الى أولئك شيئا آخر، ثم لاءم بين ذلك، فتناكرت النفوس وافترقت. (٩)

ويحضرنا الآن قصة الساحرة التي أرادت ان تتوب وتتخلص مما هي فيه، فقدمت الى النبي، ﷺ، ولكنه كان قد انتقل الى بارئه، فقابلتها السيدة عائشة رضي الله عنها واستمعت اليها..

قالت عائشة: فيما رواه عنها ابن جرير — باسناد الى هشام بن عروة عن أبيه: «قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ، بعد موته حداثة ذلك تسأله أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به، وقالت عائشة لعروة: يا ابن اختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله فيشفيها فكانت تبكي حتى اني لأرحمها، وتقول: إني أخاف ان اكون قد هلكت.

وقصت هذه المرأة قصتها فقالت: «كان لي زوج فغاب عني، فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك اليها، فقالت: ان فعلت ما آمرك به فاجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وركبت الاخر، فلم يكن شيء حتى وقفنا ببابل، وإذا برجلين معلقين بارجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ قلت: نتعلم السحر، فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي، فأبيت وقلت: لا، قالا: فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت اليهما فقالا: أفعلت؟ قلت: نعم، فقالا: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا. فقالا: لم تفعلي. ارجعي الى بلادك ولا تكفري، فاربيت وأبيت، فقالا: اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت فاقشعررت وخفت، ثم رجعت اليهما، وقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت لم تفعلي.. ارجعي الى بلادك ولا تكفري، فانك على رأس أمرك.. فأربيت وأبيت، فقالا: اذهبي الى التنور فبولي فيه، فذهبت اليه فبلتُ فيه، فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني، فذهب في السماء، وغاب حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنَّعاً خرج مني فذهب الى السماء حتى ما أراه. فقالا: صدقت، ذلك ايمانك خرج منك، اذهبي..

فقلت للمرأة العجوز: والله ما أعلم شيئا، وما قالا لي شيئا.. فقالت.. بلى لم تريدي شيئا إلا كان. خذي هذا القمح فابذري، فبذرت وقلت: اطلعي فاطلع، وقلت: احقلي فاحقلت، ثم

قلت: افركي فأفركت، ثم قلت: ايبسي فأيبست، ثم قلت: اطحني فأطحنت، ثم قلت: اخبزي فأخبزت.

فلما رأيت اني لا أريد شيئا إلا كان، سقط في يدي، سقط في يدي، وندمت والله يا أم المؤمنين. ما فعلت شيئا ولا أفعله أبدا»(١٠) وزاد ابن ابي حاتم بعد قولها: «ولا أفعله أبدا» فسألت أصحاب رسول الله حداثة وفاة رسول الله، وهم يومئذ متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه، إلا أنه قد قال لها ابن عباس — أو بعض من كان عنده — لو كان أبواك حيين، أو أحدهما.. قال ابن هشام: انهما كانا من أهل الورع والخشية من الله. وقد استدل بهذا الاثر من ذهب الى ان الساحر له تمكن في قلب الأعيان، لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال، أي جمعت غلتها توا.

ما الفرق اذن بين المعجزة والسحر؟

إن الفرق بينهما واضح جلي، فان المعجزات تأتي من عند الله، كمعجزات الأنبياء والرسل، فانها تكون حقائق مؤيدة للنبوة أو الرسالة، وظاهرها كباطنها، وكلما تأمل الناس فيها ازدادت بصيرتهم وأبصارهم في صحتها.

أمّا الساحر، فظاهره غير باطنه، وصورته غير حقيقية، وإنما تكون بتأثير معين خاصة، وان كثيرا ما يكون هذا الساحر بالاستعانة بالأرواح الشيطانية الشريرة، ولهذا أثبت القرآن للسحَرة انهم استرهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم. يقول القرطبي: «لا ينكر أحد أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس في مقدور البشر من مرض، وتفريق، وزوال عقل، وتعويج عضو، الى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر».

قالوا: ولا يبعد في السحر ان يستدق جسم الساحر حتى يلج في الكوّات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء.. ومع ذلك فلا يكون السحر موجبا لذلك، ولا علة لوقوعه، ولا سببا مولدا، ولا يكون الساحر مستقلا به، وانما يخلق الله تعالى هذه الاشياء ويحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الاكل.

ويقول القرطبي: قد أجمع المسلمون على انه ليس في السحر ما يفعل الله عنده. من انزال الجراد والقمّل والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، واحياء الموتى، وانطاق العجماء، وامثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام، فهذا ونحوه، مما يجب القطع بأنه لا يكون، ولا يفعله الله عند إرادة الساحر». (١١)

ما موقف علماء أهل السنة من السحر والسحرة؟

جمهور العلماء يعترفون صراحة، استنادا الى ما جاء في القرآن والسنة.. ان السحر حقيقة، وله تأثير في الناس، يخلق الله عنده ما يشاء. وهم يستدلون على ذلك من القرآن بما يلي:

★ قوله تعالى: ﴿**سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم**﴾ (الأعراف/١١٦) فهذه الآية تدل على إثبات حقيقة السحر، بدليل قوله عز شأنه ﴿**وجاءوا بسحر عظيم**﴾.

★ قوله جل جلاله: ﴿**فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ (البقرة/١٠٢) فهذه الآية تثبت أن السحر كان حقيقيا حيث امكنهم بواسطته أن يفرقوا بين الرجل وزوجته، وأن يوقعوا العداوة والبغضاء بين الزوجين، فدلت على أثره وحقيقته.

★ قوله عز شأنه: ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله**﴾ (البقرة/١٠٢) وهذه الآية تثبت الضرر للسحر، وان كان هذا السحر متعلقا بمشيئة الله.

★ قوله سبحانه: ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾ (الفلق/٤) وهذه الآية تدل على عظيم أثر السحر، حتى لقد أمرنا الحق سبحانه، أن نتعوذ بالله من شر السحرة، الذين ينفثون في العقد.

أمّا دليلهم من السنة المطهرة: فهو ما روي أن يهوديا يسمى «لبيد ابن الأعصم» سحر النبي ﷺ، في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعونة، ببئر اروان، فاشتكى لذلك أياما، فأرسل الله — سبحانه — جبريل عليه السلام، فأخبره قائلا.. إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بئر أروان. فأرسل ﷺ، فاستخرجها فحلها، فقام كأنما نشط من عقال. (١٢)

من هنا نرى ان ما ذهب اليه جمهور العلماء قوي الدلالة على حقيقة السحر، وعلى تأثيره في النفوس، فان القاء البغضاء بين الزوجين، والتفريق بين المرء وأهله الذي اثبته القرآن ليس إلا أثرا من آثار السحر، ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شر النفاثات في العقد.

هل يباح تعلم السحر وتعليمه؟

اختلف أئمة المذاهب الفقهية فيمن يتعلم السحر ويستعمله..

★ فقال ابو حنيفة، ومالك، وأحمد: يكفر بذلك. ويرى بعض أصحاب ابي حنيفة، انه ان تعلم السحر ليتقيه، أو يتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه اعتقاد جوازه، أو انه ينفعه.. كفر. وكذا من اعتقد ان الشياطين تفعل ما يشاء فهو كافر.

★ وقال الشافعي: اذا تُعُلِّم السحر قلنا للساحر: صف لنا سحرك، فان وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة، وانها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر. وذهب بعض العلماء الى ان تعلم السحر مباح، بدليل تعليم الملائكة السحر للناس — كما حكاه القرآن عنهم. والى هذا الرأي ذهب الامام الرازي من علماء اهل السنة.

★ وذهب الجمهور الى محرمة تعلم السحر، أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذم، وبين انه كفر، فكيف يكون حلالا.

★ أضف الى ذلك أن الرسول، ﷺ، عده من الكبائر الموبقات، كما في الحديث الصحيح «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(١٣)

بيد أن الامام الرازي يميل الى إباحة تعلم السحر دفعا لضرره، ويقول: اتفق المحققون على ان العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾؟ ولو لم يعرف السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، فكيف يكون تعلمه حراما وقبيحا؟ ولكن كثيرا من العلماء يرفضون هذا الرأي، منهم «الألوسي» الذي يقول: والحق عندي الحرمة تبعا للجمهور الا لداع شرعي، وفيما قاله الامام الرازي نظر:

★ اما أولا: فلأنا لا ندعي انه قبيح لذاته، وإنما قبحه باعتبار ما يترتب عليه، فتحريمه من باب (سد الذرائع) وكم من امر حَرُم لذلك.

★ واما ثانيا: فلأن توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع، ألا ترى ان اكثر العلماء أو كلهم عرفوا الفرق بينهما، ولم يعرفوا علم السحر، ولو كان تعلمه واجبا لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول.

★ وأما ثالثا: فلأن ما نقل عن بعضهم غير صحيح، لأن افتاء المفتي بوجوب القَوَد أو عدمه، لا يستلزم معرفته علم السحر، لأن صورة افتائه — على ما ذكره العلامة ابن حجر — ان شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه، انه يقتل غالبا — قتل الساحر والا لم يقتل»(١٤)

وقال ابو حيان عن حكم السحر: وأما حكم السحر، فما كان منه يعظم به غير الله — من الكواكب والشياطين — واضافة ما يحدثه الله اليها، فهو كفر اجماعا، لا يحل تعلمه ولا العمل به، وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء، والتفريق بين الزوجين. وأما اذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك، بل يحتمل، فالظاهر انه لا يحل تعلمه، ولا العمل به. وما كان من نوع التخييل، والدجل، والشعبذة فلا ينبغي تعلمه، لأنه من باب الباطل، وان قصد به اللهو واللعب، وتفريج الناس على خفة صنعته، فيكره». (١٥)

ما موقف أئمة المذاهب الفقهية من قضية السحر وممارسته؟

قال الجصاص:(١٦) اتفق السلف على وجوب قتل الساحر، ونص بعضهم على كفره استنادا الى قول رسول الله — ﷺ: «من أتى كاهنا أو عرافا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد».

وذكر ابن كثير — في تفسيره(١٧) رأي فقهـــاء الأمصار الاسلامية في حكم قتل الساحر — فكان كما يلي:

★ أبو حنيفة: قال: الساحر يُقتل اذا عُلم انه ساحر ولا يستتاب، ولا يقبل قوله اني أترك السحر وأتوب منه، فاذا أقر انه ساحر فقد حل دمه، وكذلك العبد المسلم، والحر الذمّي، من أقر منهم انه ساحر فقد حل دمه. وفي رأي الامام ابي حنيفة، ان الساحر قد جمع مع كفره: السعي في الأرض فسادا، والساعي بالفساد اذا قتل قتل، تنفيذا لقوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يُقتَّلوا**﴾ الآية (المائدة/٣٣).

★ وقال مالك: المسلم اذا تولى عمل السحر قُتل، ولا يستتاب، لأن المسلم إذا ارتد باطنا لم تعرف توبته باظهار الاسلام، فاما الساحر من أهل الكتاب، فانه لا يقتل إلا أن يضر المسلمين فيقتل.

★ وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك قتل قودا، وان قال: قد يقتل وقد يخطىء لم يقتل، وفيه الدية.

★ وقال أحمد: يكفر بسحره، قتل به أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين: واما ساحر أهل الكتاب، فانه لا يقتل الا ان يضر بالمسلمين. (١٨)

بقي سؤال هام.. هل يمكن تجنب السحر؟.. أو بمعنى آخر: هل من طريقة لابطال مفعوله؟

ذكر القرطبي عن وهب انه قال.. في ابطال السحر: «يؤخذ سبع ورقات من سدر، فتدق بين حجرين، ثم تضرب بالماء، ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه، فانه يذهب ما به». قال: وهذا جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته.

وقال ابن كثير في تفسيره: انفع ما يستعمل لاذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في اذهاب ذلك، وهما المعوّذتان — سورة الفلق وسورة الناس — وفي الحديث: «لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما» وكذلك قراءة آية الكرسي، فانها مطردة للشيطان. (١٩) □

---

١ — ابن منظور: لسان العرب: مادة (سحر)
٢ — القاموس المحيط (سحر)
٣ — روح المعاني ٣٣٨/١
٤ — تفسير ابن كثير ١٤٧/١
٥ — تفسير ابن كثير ١٣٣/١
٦ — تفسير ابن كثير ١٣٥/١
٧ — المرجع السابق
٨ — تفسير ابن كثير ١٣٨/١
٩ — المرجع السابق
١٠ — رواه ابن ابي حاتم عن الربيع بن سليمان، وذكره ابن كثير في تفسير ١٤٢/١
١١ — تفسير القرطبي ٤٧/٢
١٢ — رواه النسائي، والحديث مشهور، وقصته معروفة. انظر جمع الفوائد/٣٢٧
١٣ — رواه البخاري ومسلم
١٤ — روح المعاني ج ١٤٧/١
١٥ — تفسير البحر المحيط ٣٢٨/١
١٦ — أحكام القرآن ٥٧/١
١٧ — تفسير القرآن العظيم ١٤٧/١
١٨ — تفسير ابن كثير ١٤٧/١، وتفسير الألوسي ٣٤٠/١
١٩ — تفسير ابن كثير ١٤٨/١

النحو هو السبيل إلى اتقان العربية

بقلم: الدكتور جميل علوش / الاردن

لا شك أن لغتنا العربيــــة بحاجة الى من يعالج قضاياها ويبحث مشكلاتها، إذ أنها بلغت حالة من الهوان على ألسنة أهلها، طلابا وأساتذة وكتّابا وشعراء وخطباء لم تبلغها من قبل الا في عصور التخلف والتقهقر، هذا بالاضافة الى أن موضوع البحث في مناهج التدريس ومحاولة عرض آراء وتقديم المقترحات بشأنه يجريان على قدم وساق. ولعل المشرفين على أجهزة التربية والتعليم في الأقطار العربية تنبهوا الى ما يحيق باللغة العربية من أخطار وما يكتنفها من مآزق، فرأوا ضرورة النظر في الموضوع ودراسته من شتى نواحيه، عسى أن يصلوا الى منهج سوي وطريقة مستقيمة لتدريس العربية وتقريب علومها من عقل النشء على مختلف مستوياتهم.

والنظر في تدريس العربية ليس موضوعا جديدا ولا هو قضية مصطنعة، بل هو قضية حقيقية أصيلة، ما فتئت تواجه رجال التربية والتعليم في مختلف العصور ولكنها برزت وتوضحت في هذا العصر بشكل ظاهر ومتميز. وهي تشتد وتتأزم بل تزداد تفاقما وتأزما كلما زادت حركة التعليم نشاطا واتساعا من جهة، وكلما زاد الاحتكاك بالغرب والاقتباس من علومه ومناهجه التعليمية من جهة أخرى.

ان الاهتمام بشؤون التدريس هو جزء من معركة اللغة العربية في الترجمة والتعريب ووضع المصطلحات لهذا السيل المتدفق من الألفاظ والمعاني ومناحي العلوم المختلفة.

ومن الجدير بنا، اذا كنا نفكر في مستقبل اللغة العربية، ان نفكر في تنشئة جيل صالح يفهم لغته، فيهبّ لحمايتها والذبّ عن حياضها وحمايتها من شوائب العجمة ومظاهر الرطانة والعامية والركاكة، بحيث تستعيد ما كان لها من عزة وسؤدد في زمن ازدهار العلوم وتألق الثقافة. ان هذا الجيل الذي آلينا على أنفسنا أن نسهر على رعايته، هو الكفيل بالقيام بهذه المهمات وهو القمين بتقدم اللغة الى ما نشاء ونهوى.

ومما هو جدير بأن يشار اليه وينبه عليه ان شعلة الاصلاح في أساليب تدريس العربية ينبغي أن يحملها أناس غير على لغتهم وتراثهم حتى تعود بالفائدة الشاملة والنفع العميم. كما ينبغي ألا تقبل الدعوة الى الاصلاح ممن لم تستقم عربيته أو من لم يعرف بسلامة النية وخلوص القصد، اذ ان الاشراف على الأمور العلمية والثقافية والتوجيهية مثل الاشراف على الشؤون العسكرية لا ينبغي أن ينبري له إلا أناس عرفوا بالكفاية والأمانة، والا سرنا في ظلماء وخبطنا خبط عشواء.

ومما هو جدير بالملاحظة في وقتنا الحاضر أن علماء اللغة العربية ومدرّسيها والمهتمين بها من شعراء وخطباء وكتّاب يجأرون بالشكوى من التقصير في حقها والتقاعس عن رعايتها والحرص على صيانتها. وهم كذلك يعربون عن قلقهم من التواء الألسنة وفساد السلائق. فقل من يعنى

بفصاحته أو يهتم بسلامة لغته بل ندر من يحسن القراءة الصحيحة والكلام الفصيح.

ولقد رأى بعضهم حل هذه المشكلة سهلا وذلك بترك الفصحى والتزام العامية. وتمحّلوا لذلك شتى الحجج والاعذار، وراحوا يقدحون زناد الفكر لابتداع الأسباب والدواعي الموجبة لاستعمال العامية، وأرصدوا الجوائز لكل كتاب يصدر فيها. وليس من شأننا هنا أن نتحدث عن هؤلاء فالمجال لا يتسع، علاوة على أن أهدافهم مكشوفة ومقاصدهم معروفة.

أما نحن فندعو الى زيادة التشبث بالفصحى وترسيخ جذورها في جميع الأقطار العربية. وذلك لا يكون الا بمراقبة أساليب التدريس واستنباط أفضل الطرق وأصلح الوسائل الكفيلة بخلق جيل يتفهم العربية ويتذوقها ويتكلمها بكفاية وطلاقة.

وأرى أننا نستطيع إيجاز هذه الوسائل الاصلاحية في الوجوه التالية:

★ أن تتشدد أجهزة التعليم في اختيار مدرّسي اللغة العربية واشتراط كونهم ممن يجيدون العربية ويحرصون على سلامتها.
★ أن نهتم بتقديم المناهج الجيدة الصالحة في قواعد العربية.
★ أن نحرص على جودة الصياغة لا في مادة اللغة العربية فحسب، بل في مختلف المواد والموضوعات.

ومن المعروف أنّه لا يمكن ان يتم تحقيق الأهداف الآنفة دون إيلاء اهتمام خاص لعلم النحو الذي هو جوهر العربية ولبابها بل هو ركنها الركين وأساسها المكين، وهو كذلك الوسيلة اللازمة لاتقان العربية والتمكن منها، فلا شك انه دون العناية بهذا العلم تبقى إجادة العربية هدفا بعيدا ومرمى لا تطمح اليه الأبصار.

وقد أولى القدماء هذا العلم ما يستحق من تقدير وعناية، بعد أن التوت الألسن وفسدت السلائق وطغت العجمة والرطانة على لغة العرب نتيجة احتكاكهم بغيرهم من الأمم والشعوب. وكان كتاب الله هو الحافز على بعث الهمم واستحثاث العزائم لصيانته - من شوائب العجمة وحياطته من عدوى اللحن.

وكان الاهتمام بالنحو على مدى التاريخ العربي عملا يستحق الثناء ومآثره تستوجب الشكر والتقدير. فقد اشتغل بهذا العلم الجليل علماء العرب في جميع الأقطار وشتى البقاع من أقصى المشرق الى أقصى المغرب. ويدلنا على مدى اهتمام العلماء بالنحو أنّ الأندلس وهي البلد المفتتح جديدا اعتنت بهذا العلم اعتناء كبيرا وخرّجت علماء أفذاذا في النحو كأبي حيان وابن الصائغ وابن القطاع وابن عصفور وغيرهم. وقد قام الجامع الأزهر بقسط كبير من هذا العبء الضخم وأسدى للنحو خدمات جلّى. وما زال حتى الآن يقوم بدوره ويؤدي واجبه بجد ونشاط.

وفي مطلع النهضة الحديثة أُلّفت كتب جديدة في مصر ولبنان لتدريس النحو، التزمت جانب الاعتدال في معالجة هذه المادة التي تتطلب العمق والدراية وكان كتاب «مبادىء العربية» لرشيد الشرتوني في لبنان بأجزائه الأربعة وكتاب «النحو الواضح» لعلي الجارم ومصطفى أمين في مصر بأجزائه المختلفة، من خير ما ألف في هذا الموضوع تبويبا وترتيبا وشرحا وتفصيلا. وقد أدّى هذان الكتابان فوائد كبيرة للأجيال الطالعة.

بيد٧ ان المشرفين على شؤون التعليم في الأقطار العربية أخذوا يتخلون عن هذين الكتابين تدريجيا، ويكلفون من يشاؤون من الأساتذة تأليف كتب جديدة ومناهج مبتدعة لتدريس النحو. وصرنا نرى في كل بلد عربي مجموعة من كتب النحو التي لا تحظى بالشهرة أو بعد الصيت فتخرج من نطاق الحدود الاقليمية لتصل الى أقطار عربية أخرى. وأصبح كل بلد عربي قانعا بكتبه ومناهجه.

إن التغيير المتواصل لكتب النحو لا يقود الى منفعة ولا يوصل الى غاية، لأن الاستقرار في المناهج وفي غيرها من أمور الحياة خير من الارتجاج والتخلخل. وليس من الحزم ولا من بعد النظر التخلي عن كتب ثبت نفعها وتأكدت جدواها. والكتب ليست من طرز الأزياء وأنواع الملابس تجري كل يوم على نسق وتنساق في اتجاه. ويجدر بنا أن نميز في حياتنا بين المادة والجوهر، فان كان جاز لنا ان نقلد في الملبس والمأكل، أفيجوز لنا أن نقلد في أسس الثقافة ومناهج العلم؟

وإذا كانت أجهزة التعليم تحارب التقليد في مظاهر الحياة المختلفة فكيف ترضاه وتقبله في مظاهرها العلمية والثقافية؟ لقد بلغ من تغير كتبنا ومناهجنا في الآونة الأخيرة أن أصبحنا لا نسمع بكتاب معين ذي قيمة فلا أذكر أن كتابا مدرسيا اشتهر في النحو بعد «مبادىء العربية» لرشيد الشرتوني و«النحو الواضح» لعلي الجارم وزميله و«جامع الدروس العربية» للشيخ مصطفى الغلاييني وبعض الكتب القليلة الأخرى. والسؤال هو: لماذا نستغني عن هذه الكتب الجيدة ونتمسك بغيرها مما لم نستطع إثبات كفايتها

وجدواها؟ وهل ثبت أن هذه الكتب التي أشرت اليها عاجزة عن تأدية دورها حتى تهمل وتطرح؟

إن مناهج التعليم بحاجة الى إصلاح وتشذيب فيما يتعلق بمادة النحو، لما لهذه المادة من أهمية على أجيالنا الطالعة. إن هذه المادة هي أساس العربية كما سبق ان ذكرنا. ولن يستطيع أحد من دونها ان يجيد العربية أو أن يتقن الكتابة أو القراءة. وليقرأ الطالب ما شاء من آداب وعلوم وليتوسع في طلب الثقافة ما شاء له التوسع والاطلاع، فلن يكوّن شيئا اذا لم يتقن مادة النحو التي هي أساس العربية وعمادها.

وليس هذا تعصبا ولا استغلاقا كما يظن بعضهم، بل هو شيء من واقع الحال ومن طبيعة الأمور. فالعالم مهما كان متوسعا في موضوعه متعمقا في علمه لا يستطيع أن يفوز بتقدير الجمهور واحترامهم إن كان ضعيف النطق متلجلج الألفاظ سقيم العبارات كثير اللحن. ولكي يفوز العالم أو الشاعر بتقدير الجمهور، عليه ان يقرأ صحيحا وينطق فصيحا. ولن يتم ذلك دون اتمام النحو لا حفظا ونظرا بل عملا وقولا من خلال مناهج ومقررات متقنة متزنة، تكفل الحد الاقصى من الفائدة للطالب، وتكون في الوقت نفسه بعيدة عن التعقيد والاشكال. ومن الخير لهذه المقررات ان تنال فضيلة التوسط بين الايجاز المخل والاطناب الممل. فلا شك ان المرتبة الوسطى هي الفضلى في هذا المجال. فالايجاز المخل يدعو الى النفور والكراهية، والاطناب الممل يدعـو الى الحيرة والضياع. والتوسط بين الاخلال والاملال أو بين الايجاز والاطناب هو الصفة المحمودة لا في مناهج التدريس فحسب بل في مختلف الصفات الانسانية.

ولا بد لنا بعد تقديم صورة تقريبية عما ينبغي أن تكون عليه مناهج النحو ومقرراته من صفات وسمات، لا بد لنا أن نتطرق الى ما نعتقد انه الأفضل والأكثر نفعا من أساليب تدريسه فنلقي عليها شيئا من الضوء ونبين ما يكون منها وافيا بالقصد، لأن المناهج الجيدة لا تؤتي أكلها حتى تتولاها أساليب تدريس جيدة، لأن تلاحم مناهج التدريس الجيدة مع أساليب التدريس الجيدة هو العامل الفعال للسير على جادة النجاح والتوفيق. ان أحد الجانبين لا يغني عن الآخر أو يقلل من قيمته.

إن معظم الطلبة في مختلف مراحل التعليم يشكون من صعوبة مادة النحو. وقد أصبحت هذه الشكوى أمرا عاديا بين الطلبة والمعلمين، كما كثر التهكم من هذه المادة والتندر عليها وعلى الأمثلة التي يسوقها المؤلفون والمعلمون خلال التدريس. وانها لظاهرة خطيرة جدا استغلها خصوم العروبة والتراث أبشع استغلال وقصدهم من ذلك العمل على هدم التراث والتخلص منه.

ويجدر بنا قبل كل شيء أن نسأل: هل صحيح ان النحو علم عقيم؟ وهل صحيح اننا لسنا في حاجة اليه؟ والجواب بديهي. ان ذلك كله ليس صحيحا، وان المقصود منه التشكيك والهدم. أما ما يلمسه الطلبة من صعوبة في تعلم هذه المادة فمردود الى عاملين هما سوء المناهج وسوء أساليب التدريس، ولا نرى حرجا في أن نضيف الى العاملين عاملا ثالثا هو انخفاض مستوى مدرس النحو، ولا بد لنا من الاعتراف بأن الاهتمام المبذول لاصلاح هذه العوامل أو العناصر الأساسية لا يرقى الى المستوى اللازم لهذا الاصلاح.

فأول ما ينبغي اتباعه في تدريس النحو بعد وجود المنهج الجيد، هو التشديد على أصول هذا العلم دون ملاحقة التفريعات اذ ينبغي أن يفهم الطالب معاني الاصطلاحات والتسميات، كما ينبغي أن يفهم الهدف من دراسة النحو وعلاقة النحو باللغة العربية ودوره في دراستها وإتقانها.

ينبغي أن يفهم الطالب ما الغاية من دراسة النحو، فلا يشغل نفسه بحفظ التفريعات والحدود المنطقية التي لا تسمن ولا تغني من جوع. اذ ما قيمة تعريف المبتدأ تعريفا قاطعا مانعا كما يقول المناطقة لمن لا يعرف تعيينه وتحديده في الجملة. فالمعرفة الحقيقية لا تقوم على صحة التعريف ودقته، بل على تعيين الوظيفة النحوية، والتمييز بين الحالات الاعرابية المختلفة من رفع ونصب وجر وفاعل ومفعول ومجرور الخ..

ويبدو مما سبق أن الطريقة المثلى لتدريس النحو هي الاهتمام بالاعراب اهتماما متواصلا ومتلاحقا، بحيث يستطيع المدرس أن يغرس في أذهانهم أصول هذا العلم ومصطلحاته. فالاعراب ليس درسا يلقى ويحفظ ثم ينسى ولكنه فهم لمواقع الكلام، ولعلاقات الألفاظ بعضها ببعض، ولمواضع الجمل من الاعراب. ثم ان الاعراب هو الجانب العملي من هذه المادة. أما الدراسة فهي الجانب النظري. وتدريس النحو دون الاعراب يبقى ناقصا مبتورا. فعلى مدرس النحو ان يكثر من تقديم الشواهد والأمثلة والأبيات الشعرية التي يرى فيها فائدة أو نكتة لطيفة أو مسألة نحوية وسيرى مدى الفائدة التي يحصلها الطلبة من إعراب هذه الامثلة والتمرس بتحليلها والنفاذ الى بواطنها. فالاعراب، كما أسلفنا فهم، ولا يمكن لطالب ان يجيد الاعراب دون ان يفهم ولذلك فهو الوسيلة الوحيدة لاتقان النحو والاحاطة به.

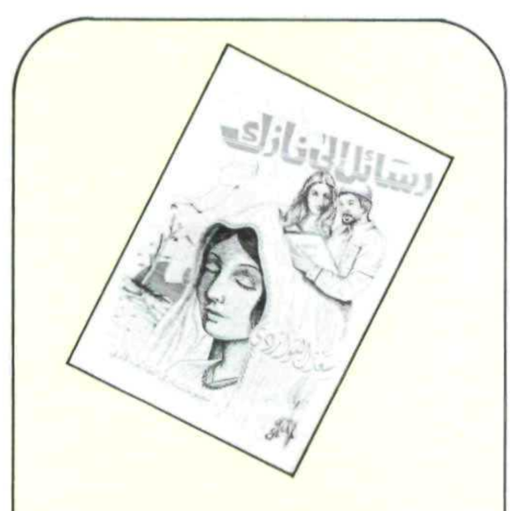
كما على مدرس النحو ان يهتم بناحية أخرى في تدريس هذا الموضوع لا تقل عن الاعراب أهمية وجدوى ألا وهي مسألة الشكل ويعني تحلية أواخر الألفاظ بالحركات المناسبة حسب العوامل اللفظية. ولا يبعد عن النظر النافذ ان المقصود من دراسة النحو هو التمكن من القراءة الصحيحة. ولهذا يجدر بالمدرس ان يكلف تلاميذه شكل قطع كاملة من الشعر والنثر. وأن يحثهم على مزاولة هذه المهمة التي من شأنها أن تجعل الطالب أكثر إلماما بموضوعه وأشد قدرة على القراءة الصحيحة الفصيحة.

ونضيف الى التمرينات الاعرابية والشكلية (وضع الحركات)، التمرين على القراءة نفسها. فالقراءة المستمرة وتنبيه الطالب الى الحركة الصحيحة. وعرض بعض مسائل الاعراب عليه في أثناء القراءة، كل ذلك يجعله أعمق في علمه وأعرق في موضوعه، إذ أن القراءة تشمل زبدة ما يحصّله من معلومات وما يجمع من فوائد. ولا شك أن قدرة الطالب أو العالم أو الشاعر تظهر أبين ما تكون من خلال قراءته. فهو إذا كان متمكنا في النحو يقرأ بنبرات قاطعة حاسمة دون تلكؤ أو تردد فينطق بالحركة كما يجب ان تنطق ويحلي الألفاظ بحركاتها المناسبة كما لا ينسى حركة عين الفعل المضارع والحركات البنائية المختلفة، ويشدد على مواضع الفصل والتوقف. وبهذه القراءة الهادئة المطمئنة يظهر القارىء مدى علمه وأدبه. أما مخالفة حركات الاعراب والتردد والتلكؤ والتأتأة فتدل على جهل وعدم تمكن.

إن أساليب تدريس النحو الصحيحة والنافعة تفرض على المدرس اذن ان يهتم بجوهر النحو دون الاكتراث بالتعريفات والحدود والتفريعات التي لا يحتاج اليها الا العالم المتوسع. كما ينبغي ان يستعين على ذلك بالاعراب الصحيح والقراءة الفصيحة والدربة على الشكل.

وصفوة القول ان دراسة النحو هي الطريق الى اتقان العربية، فلا عربية دون نحو ولا نحو دون إعراب. وكل من يظن انه واصل الى هدفه عن غير هذه الطريق فهو واهم. والدليل على ذلك ان القدماء كانوا يطلقون على النحو «علم العربية». وحسبنا بهذه التسمية شاهدا على أهمية النحو وسمّو مكانته □

كتبٌ مهـدّاة



★ «رسائل الى نازك» للاستاذ سعد البواردي. وهي مجموعة رسائل من المؤلف الى ابنته «نازك» فيها الارشاد والتوجيه وحسن التربية. ويقع الكتاب في ١٨٤ صفحة، وهو من مطبوعات نادي الطائف الادبي □



★ «أصول علم الادارة» للاستاذ سامي زين العابدين حماد. يقع في اكثر من ٣٠٠ صفحة، وفيه يتحدث المؤلف عما لعلم الادارة من دور فعال في تنمية الشعوب من خلال تطبيق أحدث نظريات هذا العلم وما وصلت اليه التجارب والابحاث في هذا المجال □

رحلة في كتاب :

سيكولوجية القصة في القرآن

تأليف الدكتور : التهامي نقرة

عرض الأستاذ : عبدالجبار محمود السامرائي / العراق

إن دراسة القصة القرآنية، وتحليلها من حيث عوامل التأثير فيها، ومن حيث منهجها القصصي، ومصادر المعرفة فيها، ودورها في التوجيه والتربية وغرس الايمان، وتحليل عناصرها من حوار وأحداث وشخصيات، تكشف ما فيها من ابداع فني، وتفصح عن أسرار إعجازها البياني، وتؤدي الى اقناع عقلي يلزم بالحجة ويهدي الى الحق.

ذلك هو موضوع هذا الكتاب. ولعل الجديد فيه يتمثل في محاولة استخدام بعض قواعد وأصول علماء النفس والتربية والاجتماع، وفي استعمال المنهج التحليلي، الى جانب البحث النظري، كوسيلة لدراسة القصة القرآنية بأكثر شمول وعمق، وربط الجانب الفني فيها بالجانب النفسي، لأنهما يلتقيان في الهدف، وهو التأثير الديني.

ولئن تعذر على جميع المسلمين اليوم ان يدركوا أسرار الاعجاز البياني في قصص القرآن بالذوق الفطري، فليدركوه بطريقة التحليل الفني والنفسي معا. لا سيما وقد اضحت دراسة القصة وتحليلها طريقة شائقة لابراز قيمتها في الاسلوب والمحتوى، والكشف عن موحياتها النفسية، وأبعادها الفكرية، وتسليط الاضواء عليها، لتنبيه الناس اليها، وترغيبهم في قراءتها قراءة ممعنة ومتأنية.

تحليل القصة القرآنية

إن القصة الفنية ككل اثر فني يترجم عن مشاعر وانفعالات امتزج صاحبها بظروفها، ومارسها، وعانى تجربة نقلها الى مشاعر أخرى، ليست في غنى عن علم النفس الذي يرتاد مثل هذه المجالات بحثا وتحليلا. فيهتدي على ضوء ما يستخلصه من ذلك الاثر الفني الى خفايا نفسية صانعة، فيحللها، ويدرسها. وهي طريقة مألوفة لدى نقاد الأدب، إذ يتوصلون الى نفسية الشاعر، وتوضيح معالمها من خلال شعره، ونفسية القاص من انتاجه القصصي، باعتبار ان هذا الانتاج الأدبي تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها صاحب الانتاج، وان اختلفت هذه القيم من نفس الى نفس، ومن بيئة الى بيئة، ومن عصر الى عصر.

ولكن القصة القرآنية لا تخضع لهذه الطريقة من الوجهة النفسية الا من احد جانبيها، وهو تحليلها لمعرفة عوامل التأثير فيها، ومدى استجابة القلوب لما تدعو اليه، لأن مصدرها هو خالق النفوس الذي يعلم السر واخفى.

أما الجانب الثاني، المتعلق بذات منشئها سبحانه وتعالى — وهو المنزه عن كل ما يتأثر به البشر من عواطف — فانما امرنا ان نتفكر في خلقه لا في ذاته. وهل يستطيع الفكر المحدود ان يتصور المطلق، أو يحيط علما بمن كل يوم هو في شأن؟

إن هذا هو ابرز العناصر التي يختلف فيها القصص القرآني عن القصص البشري، رغم انه منظور اليه من خلال الانسان، ومقدر ما فيه من قوة وضعف، وسمو وضعة.

فالقرآن الكريم يبدي لنا الاشياء، ويعرض علينا الحقائق في صور تستسيغها عقولنا وأذواقنا، وتهفو اليها عواطفنا.

فيصف النفوس كما هي، وكما يجب ان تكون، ليجعل من الواقع نقطة انطلاق نحو مثالية لا يقدر على الاقتراب منها غير المؤمن بالقيم الاسلامية، الجاد في بلوغ مراتبها.

ثمّ انه ليس بالامر الهين تحليل أثر عميق التأثير، كقصص القرآن الكريم دون ان ينال التكلف — وما تقتضيه طبيعة التعليل — من جمال هذا الاثر الذي كثيرا ما يتسامى عن التعليل والضبط والتقويم. فان مقومات الابداع تُفلت من قبضة الذهن. وفي طبيعته انه لا يثبت للمعرفة العلمية.

والقران الكريم لم يعرض قصصه هذا العرض الفني المثير ليشغل العقول بأحداثها كقضايا تأريخية تعيش لحساب العلم والمعرفة، ولكن للتأثير بعبرها، والهداية بتوجيهاتها، وقد تضافر على تحقيق هذه الغاية كل من المضمون والشكل والجرس.

وكما ان للقصص القرآني جوانب عامة مشتركة ينبغي اعتبارها عند تحليلها: «عناصر القصة القرآنية»، فان لها جوانب خاصة لا تشترك فيها كل القصص، ولكن تنفرد بها او ببعضها كل قصة، ولا يتسنى تحديد هذه الجوانب أو ضبطها، لأنها تختلف باختلاف نوع القصة، وبحسب موضوعها، وأهدافها، وطريقة عرضها، فهي ليست مثلا من قبيل المحور، أو الغرض العام، أو الحوار، أو الشخصية، أو نحو ذلك مما يدخل في الاطار العام للقصة.

ومن المفيد أن نعرض هنا نموذجا لأهم العناصر التي قد يستمد منها التحليل مادته وموضوعاته، وذلك لمعرفة ما تثيره القصة من مباحث أو قضايا أو تساؤلات ترتبط بها ارتباطا وثيقا وتتعلق بالناحية التأريخية أو العقلية أو النفسية أو الدينية، بل وحتى الفنية. وليكن هذا النموذج مثلا، في قصة «صالح وثمود»:

﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم. هذه ناقة الله لكم آية، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم. واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا. فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين. قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما ارسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون. فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم. وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ (١).

إن هذه القصة تكشف عن أسباب مصرع قوم ثمود الذين استخلفهم الله من بعد عاد، ومكنهم في الارض، فشيدوا في السهول قصورا، ونحتوا في الجبال بيوتا، ولكنهم كفروا بالنعمة، فعاثوا في الارض فسادا، فبعث الله منهم صالحا عليه السلام، يدعوهم الى عبادة الله ونبذ الأوثان، وينهاهم عن البغي والفساد، ويذكرهم بنعمة الله عليهم، فما آمن من قومه الا الضعفاء، وهم قلة بالنسبة للكبراء الذين أصروا على الباطل، وتصدوا للدعوة، وصرف المؤمنين عنها بتشكيكهم في صدق صاحبها، فأيده الله بمعجزة الناقة، وجعلها آية على قدرته المبدعة، وعلى صدق رسوله الذي حذرهم من أن يصيبوها بأذى، ولكنهم تمادوا في عتوهم، واستخفوا بوعيد الله وتحذير نبيه، فعقروا الناقة، وتحدوه بتعجيل العذاب الذي نزل بساحتهم بعد ثلاثة ايام كما أنذرهم. فأهلكتهم الرجفة من هول الصاعقة، وتركتهم على هيئاتهم جاثمين، لم ينج منهم إلا الفئة المؤمنة. وهكذا طويت صفحتهم، فأصبحوا أثرا بعد عين، وتركهم صالح، عليه السلام، للمصير الاسود الذي جلبوه على أنفسهم بأيديهم، بعد أن أفرغ جهده في نصحهم، وابلاغهم رسالة ربه.

إن المحور العام، لهذه القصة يتضح لنا من دعوة الرسل الى الله، واعراض اقوامهم عنها وتحديهم لها. وتتجسم فيها سوء العاقبة لمن يتحدى الدعوة الى الايمان. فهي تمثل صراعا بين الحق والباطل، والايمان والكفر.

أمّا الغرض العام الذي سيقت القصة من أجله، فهو تحذير المكذبين للرسول ﷺ والمتحدّين لدعوته أن يصيبهم عذاب من السماء — اذا هم أصروا على الباطل — كما أصاب ثمود من قبلهم، وأمرهم مشهور عند العرب في الجاهلية والاسلام.

ومن أهم عناصر التحليل في هذه القصة، ما تثيره في النفس من شعور بالرهبة من عذاب الله ونقمته. وبالأمن في حمى الايمان بالله وقوته.

ويظهر الاستهواء الفني في التصوير الحي لهول الفاجعة بايجاز محكم، واشارات سريعة حصل بها استجابة القصة للغرض التربوي الذي سيقت له وهو: الاعتبار بمصارع الظالمين، بالاضافة الى ما تركته القصة من صدى في النفس، وحيرة مما ينتظر الانسان من مصير مجهول في الحياة وبعدها، اذا طغى وتغلبت فيه دوافع الشر ونوازع

الباطل. فالانذار العام لا يدخل فيه من هو على صراط مستقيم، كما أن الشعور بالتهديد لا يحس به الا من يشمله حقيقة لانحرافه وتنكبه.

والحق ان كل قصة من قصص القرآن الكريم لا بد ان تحتوي على إجابة مقنعة للسؤال الذي نوجهه لانفسنا دائما عقب قراءة كل قصة، وهو: لماذا جرت هذه الأحداث؟ وما هي القضية التي تريد الافصاح عنها هذه القصة؟ وغالبا ما تكون القضية التربوية هي الهدف الأساسي من القصص القرآني.

عناصر القصة في القرآن الكريم

إن أهم ما يشترك فيه القصص القرآني مع سائر القصص من عناصر، هي الشخص، والحدث، والحوار. فالشخص قد يكتفي القرآن بذكر بعض صفاته، كما جاء في قصة موسى وفتاه والخضر: ﴿**فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾[٢]. فاستغنى القرآن الكريم بوصفه عن ذكر اسمه وهو (الخضر) على ما يذكر المفسرون، لأن الناس لا يعرفونه.

وكما ورد في قصة ثمود ﴿**كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث اشقاها**﴾[٣]. فهذا الذي انبعث لعقر الناقة واسمه على ما ذكر المفسرون «قدار بن سالف»، لم ير القرآن الكريم فائدة من التصريح باسمه، ولكنه اكتفى بذكر أهم صفة من صفاته النفسية، وهي أنه اشقى رجل في ثمود.

وأما الحدث فكثيرا ما يعرض مجردا عن ذكر الزمان والمكان اللذين وقع فيهما، لكن، قد يكون لهما أو لأحدهما مجال في سير الحادثة، فيتعلق الغرض بذكره، كما في قوله تعالى عن اخوة يوسف: ﴿**وجاءوا أباهم عشاء يبكون**﴾[٤]. فقد حرص القرآن الكريم على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة وهو العشاء، هذا الجزء من الليل الذي تستّر أخوة يوسف بظلامه لحبك مؤامرتهم، وانجاز مكيدتهم.

أما الحوار، فأخص ميزاته انه يصور الأحداث في أسلوب الحكاية تصويرا يكشف عن خبايا الصدور، ويسجل الاشارات والاهتزازات على نمط رفيع لا ينزل، أيا كان الاطراف المتحاورون.

إن أساليب الحوار القرآني ومحتواه، تؤكد على ما في دعوات الرسل الى الله من استحضار خشيته وجلاله، وتتوجه اليه في طلب العون والتأييد، كما ورد على لسان شعيب وهو يحاور قومه: ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين**﴾[٥] أو الحديث عنه بضمير الغائب عن الحس، الحاضر في القلب، كما جاء على لسانه أيضا: ﴿**ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد. واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود**﴾[٦].

كما أن الأنبياء في تحاورهم مع أقوامهم كانوا يجنحون الى الترفق في الخطاب الذي تسري فيه معاني الرحمة والمحبة والاخلاص، وتساميهم عن العبارات النابية التي تحمل الشتم أو التجهيل أو نحو ذلك، مما يمس الكرامة الانسانية، أو يحمل على استمراء الكفر والفسوق. بل ان عباراتهم لتنبثق من قلوبهم حانية مترفقة مشفقة، مهما كانت المواجهة عنيفة أحيانا في الانذار والتخويف من عذاب الله.

في حين اننا نحس من عبارات خصومهم انها شديدة عنيفة، تفجرها النقمة والغضب، ويقذف بها العناد والمكر.

عوامل التأثير في قصص القرآن الكريم

إن السر في تنوع عوامل التأثير في القصص القرآني، يتضح لنا تبعا لتنوع الاستجابات في انسان. فالقرآن الكريم يخاطب العاطفة عن طريق الشعور، ويقنع العقل عن طريق الحس، ويجلب الاسماع والقلوب بالتعبير الفني البديع. وهكذا يمكن جمع هذه العوامل وحصرها في ثلاثة عناصر عامـــة هي :

التأثير النفسي

لعل درس المؤشرات النفسية الدينية في القصص القرآني يكشف عن حقائق هامة في علاقة الشعور الديني بالعاطفة، وارتباط الجانب الالهي بالنفس، لما في هذه القصص من اثارات متنوعة، ومن تجارب دينية، كان الانسان محورها، ومن دعوات سماوية استفزت مشاعر الداعين والمدعوين، وتولد عنها صراع طويل المدى بين أهل الحق وأهل الأهواء. ثم ان التحليل النفسي لبعض ما ورد في هذا القصص لا تخلو منه بحوث السابقين وتفاسيرهم فيما يذكرونه احيانا من خطرات القلوب، ومدلولات الاقوال ومبعثها من النفس، وان خلت من مصطلحات علم النفس الحديث ومناهجه وموضوعاته...

ولقصص القرآن الكريم أثر بليغ في توجيه العقيدة والسلوك منشؤه شعور انفعالي دافع، أو عامل وجداني مؤثر. فتأثير بعض القصص الذي يصف ما نزل بالمكذبين لرسلهم من أهوال العذاب، انه يحدث شعورا بالخوف من عاقبة العصيان. وهذا الشعور بالخوف من العقاب الالهي يتجدد في نفس المؤمن كلما اثار انفعاله قصة من قصص القرآن الكريم.

الاقناع العقلي

يؤلف القصص القرآني على اختلاف مقاصده، وحدة في العقيدة قوامها: تجربة شعورية دينية يطمئن اليها الفكر. وهي حقيقة سيكولوجية لا بد من اعتبارها في نظرتنا الى هذه القصص، حتى الذي اقترنت وقائعه بخوارق غير مألوفة: كاحضار عرش بلقيس في قصة سليمان في سورة النمل، واحياء الميت في قصة بقرة بني اسرائيل في سورة البقرة، وكآية البعث في قصة ابراهيم في سورة البقرة. فاذا فحصت هذه الوقائع وأمثالها بعين تنظر الى الوجود نظرة شاملة، فانها تكشف عن ارادة تجري على سنن تثير العقل للنظر لا ليبحث عن المؤثرات الطبيعية للاشياء في عالم الغيب، فان ذلك يتجاوزه، ولكن ليبحث فيما وراء تلك الوقائع، وما تدل عليه، وما لها من انعكاسات في النفس على طريقة التنبيه والايقاظ، لمواجهة موضوع الفكر والايمان، قصد التوصل الى ادراك الحقائق التي يعرضها القرآن الكريم على الفكر الانساني الطبيعي المتحرر، لا الفكر المقيد بالقوالب النظرية المصطنعة، والقضايا الفلسفية الموضوعة.

فالأسلوب المنطقي الذي نراه جافا مجردا عند الفلاسفة والمناطقة، يمتزج في القرآن الكريم بالأسلوب العاطفي المثير، دون ان يكون ذلك على حساب أدلته وبراهينه. فهو يخاطب الانسان ويثيره عن طريق قضاياه ومشاكله، ليحرك تطلعه الى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة، ومصيره البعيد. كما يدعوه الى النظر في الكون لاستنباط سننه، وللاهتداء الى الايمان بخالقه. وكل هذه الدعوات موجهة الى قواه العاقلة، ليكون ايمانه عن تأمل وتدبر، لا عن تقليد لما وجد عليه آباءه، من غير نظر ولا تمحيص.

وقد يقال، اذا كان في القصص القرآني ما فوق العقل، فكيف يفهم بدون عقل؟

والحق ان القرآن الكريم في قصصه للعقل شواهد الالوهية الخالقة، وأدلة القدرة المطلقة، فليس لتعجيزه وتعطيله، بل لاثارة ملاحظته حتى لا ينظر اليها بعين غيره. فان الملاحظة التأملية تنشيء الفكرة، والفكرة تهيىء التجربة، وتقود من الاثر الى المؤثر، ومن التدبير الى المدبر. فهو لم يخضع في اقناع العقل الى قواعد علمية مقررة جامدة كمنطق ارسطو. واذا لم يوجد في القصص القرآني ما يصادم الحقائق المنطقية المسلم بها، فلأنه لم يبن أحكامه واستنتاجاته على آراء فلسفية، أو نظريات علمية قد تتطور بتطور الزمان، أو يكشف التقدم العلمي عن فسادها. فهو لم يعرض لخاصة أهل العلم والفكر، بل للناس كافة قصد هدايتهم. فكان لابد ان يخاطب عقولهم جميعا على اختلاف مستوياتها. لذلك كان ينعي على مجتمع تسيطر عليه معتقدات تلقاها بالوراثة والتقليد عن غير علم ولا نظر، ويرفض كل ما يبرر التمسك بتلك المعتقدات.

ومع هذا، فلا ينبغي ان يتجاهل أحد ما في القرآن الكريم من ضروب الاستدلال القائم على البحث عن العلل، طبق قواعد الفكر الملزمة، ومن التنبيه المستمر على النظر العقلي في الكون، وعلى التدبر في بناء العوالم، ومن اشارات كونية ونفسية من شأنها ان توصل بالضرورة العقلية الى الغاية منه. وهي انشاء وجهة نظر عن الذات الالهية وعن الانسان والكون والحياة.

وهكذا كان القصص القرآني يدفع الى التفكير بما جاء فيه من قضايا، وجاء به من حلول لمشاكل الالوهية والنبوة والقدر والبعث والانسان. فهدى الى المعرفة التي يؤمن بها القلب قبل العقل، لأن العقل قد لا يصل اليها وحده.

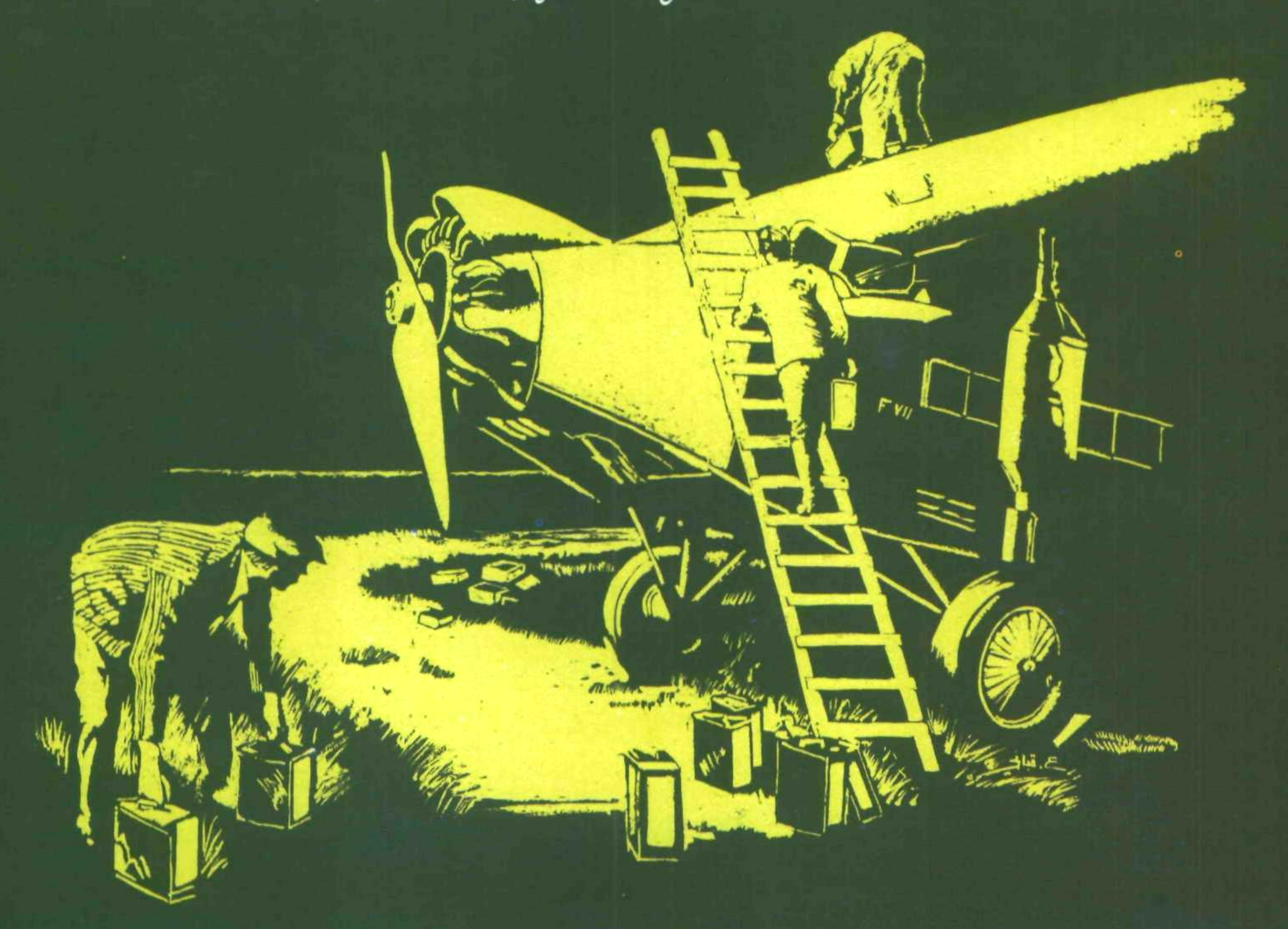
الإبداع الفني

اذا كانت معالم الاصالة الفنية تبرز في القصة على قدر ما تتضح الفكرة الاساسية لها، وعلى قدر اتصالها بالانسان في جوهره وحقيقته بأسلوب جذاب، وصيغ للتعبير موحية في طرافة وإمتاع وصدق، فان ابداع الفن في القصة القرآنية ـ على ايجازها ـ يبدو جليا في وحدة موضوعها وطريقة عرضها للأحداث في مشاهد حية، وأسلوب ادارتها للحوار بما يصور للمعاني الذهنية، وينم عن الحالات النفسية، وحسن اختيارها للموقف المثير لتوجيه القلب للعبرة.

عَالَمُ الطيَرَانُ

بقلم الدكتور : أحمد محمد غندور / جامعة الملك عبدالعزيز

أُخِذَ الإنسَان منْذ القدَم بمقدرة الطيُور وبعض الحيوانات الأخرى علَى الطيرَان ، وَقدحَاول في بدَايَة الأمر محَاكَاتها فلم يفلح . ولعَلَ محَاولاَت عبّاس بن فرناس كَانت مِنَ المحَاولات الرائِدة في هَذَا المجال ، تلاهَا العَدِيد مِن المحاولات الأخرى الرامية إلى تطوير علم الطيران . وهنَاك اليوم أنواع عديدة مِن الطائرات ، منهَا ما هُو خاص بنَقل الركَاب مِن بَلد إلى آخر ، وَمنها مَا هُو خَاص بالأغراض العسكريّة والزراعيّة والاستكشافيّة .



وليست وظيفة الفن الا ان يوجد شيئا حيا نابضا يؤثر في النفس والفكر.

إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثا يقع، ومشهدا يجري، لا قصة تُروى، ولا حادثا قد مضى.

فلم يكن الابداع في القصص القرآني حاصلا من ناحية اللفظ والمعنى فقط، ولكن في منهجه الفريد ونظمه الوحيد الذي لو حاول أحد تقليده، لبدا كلامه مقتضبا مضطربا لا يستقيم مع أسلوب الكتابة. وإلا فكيف يمكن للاداء البشري ان يعبر عن طريقة الأداء القرآني في استحضار المشاهد، والتعبير الموجه، وكأن المشهد حاضر، كما في مثل هذا الموضع من سورة يونس: ﴿**وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا، حتى اذا ادركه الغرق قال: آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل، وانا من المسلمين**﴾. والى هنا هي قصة تحكى، ثم يعقبها مباشرة خطاب موجه في مشهد حاضر: ﴿**ءآلئنَ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**﴾. ثم يعود للتعقيب على المشهد الحاضر: ﴿**وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**﴾ (٧)

وليس الكشف عما تضمنه من تشبيهات ومجازات، واستعارات وكنايات بكاف وحده لابراز مواطن الجمال فيه. اذ ليست قيمة الاثر الفني في جماله الشكلي، بل وفي سحره البياني، وتأثيره النفسي، وبما يحمل من قيم روحية، واتجاهات جديدة في الحياة.

والذين والفن كلاهما يضيء من مشكاة واحدة، هي ذلك القبس العلوي الذي يملأ القلب سكينة وصفاء وايمانا.

وليس مصدر الجمال في الفن الا ذلك الشعور بالسمو الذي يغمر نفس الانسان عند اتصاله بالاثر الفني. ومن أجل ذلك كان لابد للفن الاصيل ان يكون قائما على قواعد الاخلاق.

وأما السحر البياني فانه لا يؤثر الا في من وقفوا على أسرار اللغة ودقائقها، وأحاطوا بفنون القول فيها، وأرهف الذوق حسهم.

وهكذا فان للالفاظ أطيافا وظلالا وأصداء في النفس، كما ان لجرسها إيقاعا في الأذن. والكلمات في التعبير، كالألوان في الرسوم، والانغام في الموسيقى. وان شئت فاقرأ ما ورد في القرآن الكريم من دعاء زكريا وايقاعه الخاص، ودعاء ابراهيم واصوات ألفاظه المتقطعة المتهدجة، ودعاء نوح المجلجل المديد. فهي كلها في سموها وحرارتها كأنها نجوم السماء. ولعمري تلك هي الروعة في الابداع الفني.

الخاتمة

ان القصة ــ على اختلاف أنواعها ــ كانت ولم تزل رفيقة الانسان في جميع المراحل التأريخية التي مر بها، معبرة عن آماله وآلامه، كاشفة عن نظرته للحياة وفلسفته فيها. وقد استطاعت ــ القصة ــ ان تحلل النفس بما لها من أبعاد متشعبة تحليلا عميقا، وتبين نزعاتها الطارئة في اطار عواطفها. وتحت تأثير الظروف الخارجية، وتصور واقعها في اطار عواطفها، وتحت تأثير الظروف الخارجية، وتصور واقعها في حيرتها واهتدائها، وفرحها وحزنها، وغضبها وهدوئها، وضعفها وقوتها، وحبها وبغضها، وتفاؤلها وتشاؤمها، وتصور الحقيقة التي تقوم عليها الحياة من خير وشر، وظلام ونور، وسعادة وشقاء! فهي تربة خصبة في حقل فسيح لانتاج التجارب الانسانية التي ينصهر فيها القاص ويعانيها، فيقدمها صادقة في الاحساس، نابضة بالحياة، زاخرة بالفن.

لقد أبان القصص القرآني ان الفكر في الانسان ليس كل شيء، بل هو نافذة من النوافذ الكثيرة التي تطل على هذا الوجود، وكان هذا القصص وسيلة جليلة لتقرير جوهر العقيدة، وتوجيه النفس الى الله، حتى تظهر آثار التوحيد في المشاعر والتصورات، ظهورها في السلوك والتصرفات. كما كان أداة لتربية النفوس، وغرس الشعور بالسلطان الالهي الاعلى منشأ التعظيم والخضوع، وروح العبادة والخشوع، لأنه يستمد قدسيته من قدسية الباري عز وجل.

والقصة القرآنية سلاح نفسي في الدعوة المحمدية الى عقيدة التوحيد، وفي اقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدة، ونبل أهدافها □

(*) يقع الكتاب بحدود ٦٥٠ صفحة من القطع الكبير ونشرته الشركة التونسية للتوزيع ــ تونس ١٩٧٤م

١ ــ الاعــراف: ٧٢ ــ ٧٨

٢ ــ الكهــف/٩ ــ ٣٩

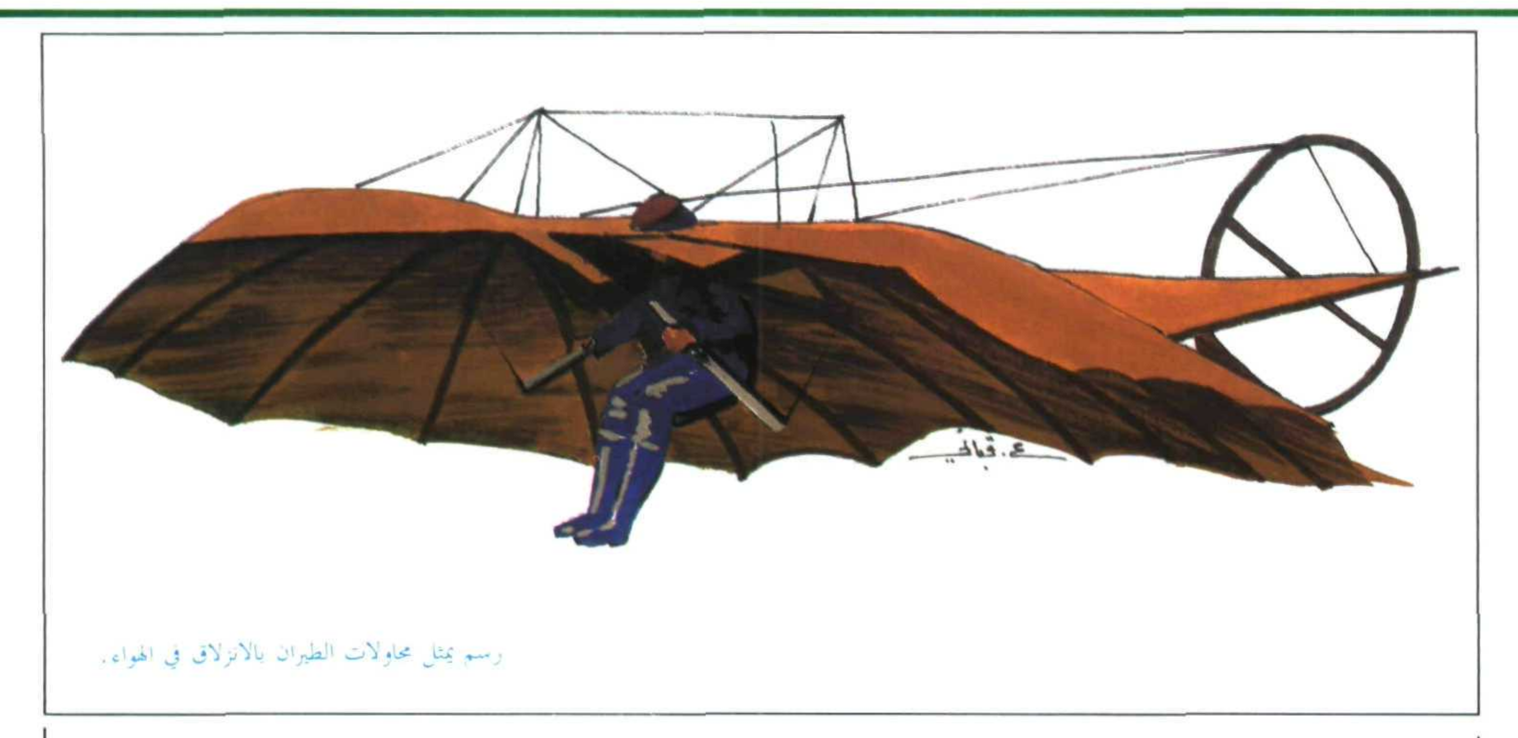
٣ ــ الشمس/١٧

٤ ــ يوسـف/١٦

٥ ــ الاعراف/٨٨

٦ ــ هــود/٨٩ و ٩٠

٧ ــ يونس/٩٠ ــ ٩٣



رسم يمثل محاولات الطيران بالانزلاق في الهواء.

بداية محاولات الطيران

بدأت محاولات الطيران بالتحليق في الهواء من علو شاهق وذلك بالاستعانة بجناحين من الجلد أو القماش. وقد عثر على عدة رسومات عن الطائرة العامودية والمظلات بين أوراق العالم الايطالي المعروف «ليوناردو دي فنشي». وفي شهر نوفمبر ١٧٨٣م تمكن الفرنسيان «دي روزو» و«المركيز ارلندرس» من الارتفاع في الهواء بواسطة منطاد. وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، بدأ العالم «جورج كايلي» باجراء عدة بحوث عن الطيران استحق على اثرها لقب «الأب الروحي لعالم الطيران» حيث صمم ذراعا خاصة تدور في الهواء من شأنها دفع الجسم الى أعلى. وفي سنة ١٧٩٩م، وضع «كايلي» تصميما لطائرة تجمع كل مميزات طائرة اليوم. كما أصدر في سنة ١٨٠٩م كتابه المعروف عن «الملاحة الجوية» والذي يعد واحدا من أهم المراجع الأساسية عن الطيران. وقد تمكن في سنة ١٨٥٣م من التحليق في الهواء بطائرة صغيرة. وفي سنة ١٨٥٨م، تمكن الفرنسي «فيلكس دي تمبل» من تطوير طائرة ذات جناح واحد وطارت بنجاح ولكن بدون طيار. وفي سنة ١٨٦٠م، ومع تطوير جهاز الاحتراق الداخلي، شرع في تصميم طائرة يقودها ملاحون، وتعتمد على قوة دفع ذاتية بدلا من التحليق في الهواء. وقد أسهم العالم «أوتو ليلينثل» في هذا المجال إذ درس عن كثب أساليب الطيران عند الطيور وقام بحوالي ألف محاولة طيران في الهواء. لكنه لقي مصرعه سنة ١٨٩٦م إثر اصطدام تحطمت فيه طائرته الشراعية.

وفي سنة ١٨٩٣م، عقد المؤتمر الدولي لعلم الطيران في مدينة «شيكاغو» بالولايات المتحدة حضره عدد كبير من العلماء والمهندسين وتداولوا فيه الآراء حول تطوير فكرة الطيران.

الإنسان ينجح في الطيران

وفي سنة ١٨٩٦م بدأ الأخوان «ويلبر» و«اورفل رايت» في دراسة علم الطيران. وقد نجحا سنة ١٩٠٠ في تصميم وتجربة طائرة انزلاقية يقودها انسان. وفي سنة ١٩٠٣م، تمكنا من تصميم أول طائرة تطير بالدفع الذاتي حيث استخدما جهازا قوته ١٢ حصانا ميكانيكيا، ومحركين. وفي ديسمبر ١٩٠٣م، حلقا في الجو على ارتفاع ١٢٠ قدما ولمدة اثنتي عشرة ثانية. وكانت تلك المحاولة


نموذج لشكل الطائرات الأولى التي كانت تحلق على ارتفاع منخفض.

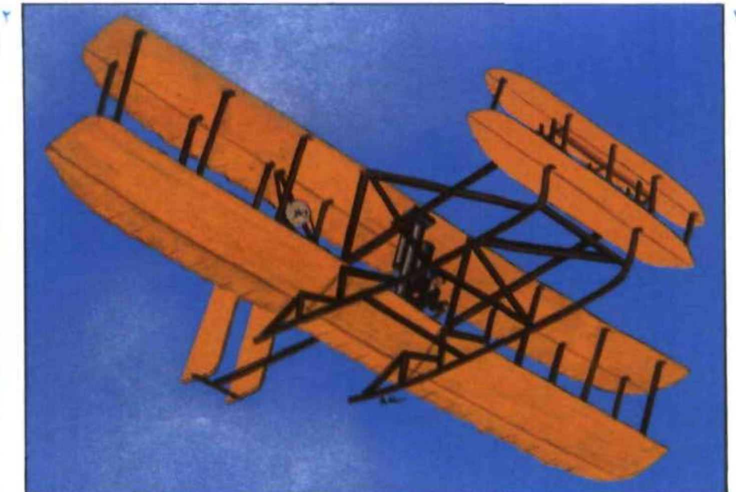
للطيران هي أول محاولة يقوم بها الانسان في طائرة وزنها أثقل من الهواء، وتطير بقوة الدفع الذاتي. وفي سنة ١٩٠٥م قاما بتصميم طائرة أخرى حلقت في الهواء لمدة ٣٠ دقيقة. وفي سنة ١٩٠٨م، عرض الأخوان «رايت» انتاجهما على العالم اثر هذا النجاح الباهر الذي حققاه في مجال الطيران، حيث تمكنا من الطيران على ارتفاع ٣٦٠ قدما وقطعا مسافة ٧٧ ميلا في ساعتين وعشرين دقيقة. وفي سنة ١٩٠٩م، اشترت الحكومة الامريكية براءة الاختراع وصممت بالتعاون مع الأخوين «رايت» أول طائرة حربية في العالم.

وقد كان هذا النجاح الباهر الذي حققه الأخوان «رايت» في مجال الطيران حافزا على تطوير العديد من التصميمات المذهلة للطائرات في أوربا. وفي سنة ١٩٠٩م، عقد في فرنسا أول معرض للطائرات، تبارت خلاله ٢٣ طائرة من عدة بلدان في ١٢٠ محاولة للطيران. وفي سنة ١٩١٠م، شرع الأخوان «رايت» في إنتاج الطائرات على نطاق تجاري.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، اشترى الملاحون المتدربون على قيادة الطائرات عددا من الطائرات الحربية الصالحة للاستعمال كخطوة أولى في تجارة الطائرات حيث بدأوا يتبارون في الطيران من مدينة الى اخرى وذلك بنقل الركاب في رحلات جوية، ومن ثم باستعراضات في الهواء. وقد وصلت سرعة الطائرة في سنة ١٩٣١م الى ٤٠٧ أميال في الساعة. وفي سنة ١٩١٩م، تمكن الامريكيون من عبور المحيط الاطلنطي في رحلة جوية متواصلة دون توقف. فكان ذلك الحدث بداية عهد ازدهار الطيران الرياضي حيث عقد العديد من المهرجانات والمباريات للوقوف على مميزات الطائرات وخصائصها وبراعة الملاحين وقدراتهم الفنية.

وفي سنة ١٩١٤م، بدأت أول رحلة منتظمة لنقل الركاب على متن الخطوط الجوية البحرية لشركة «بترسبرج تامبا». وفي سنة ١٩١٨م، بدىء بنقل البريد جوا بين نيويورك وواشنطن، ثم اتسع نطاق خدمات البريد الجوي لتشمل دول العالم المجاورة للولايات المتحدة الامريكية. وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، انتظمت رحلات الطيران المدني لنقل الركاب في كل من المانيا وفرنسا وانجلترا. ومع تزايد الرحلات الجوية بين المدن، وتوفر سبل الراحة للركاب، نشطت حركة الملاحة الجوية وازدهرت وتأسس العديد من شركات الملاحة الجوية. وفي سنة ١٩٣٣م، دخلت طائرة البوينغ ــ ٢٤٧ لأول مرة أسطول الملاحة الجوية، فقامت برحلة وعلى متنها عشرة ركاب. ومما يذكر ان أول طائرة نفاثة جرى تصميمها في بريطانيا كانت على يد المهندس «سير فرانك ويتل» وفي المانيا على يد المهندس «هانس فون أوهين». وفي سنة ١٩٣٩م، طارت أول طائرة نفاثة في المانيا ثم تلتها في سنة ١٩٤١م الطائرات النفاثة البريطانية والامريكية. وقد جاء تصميم هذه الطائرات ثمرة جهود تطوير الطائرات الحربية التي وصلت سرعة بعضها الى تحطيم حاجز الصوت. وفي سنة ١٩٥٢، استخدمت طائرة «الكومت». ونتيجة لاكتشاف بعض العيوب في تصميمها توقف استخدامها في سنة ١٩٥٤م. وفي سنة ١٩٥٨م دخلت البوينغ ــ ٧٠٧ مجال الطيران وكانت تحمل ثلاثة أضعاف طائرة «الكومت». كما صممت طائرة البوينغ ــ ٧٢٧ و البوينغ ــ ٧٣٧ للرحلات القصيرة. وفي سنة ١٩٧٠م دخلت البوينغ ــ ٧٤٧ ونفاثات «الجامبو» مجال الطيران، وكانت الواحدة

١



٢





رسم يمثل «تشارلز لندبرغ» واقفا أمام طائرته التي حلق بها عبر المحيط الأطلسي في رحلته التاريخية عام ١٩٢٧م.

منها تستوعب ٥٠٠ راكب في ذلك الحين. ثم تلتها طائرة «الكونكورد» في سنة ١٩٧٦، والتي تبلغ سرعتها ضعف سرعة الصوت.

طائرات اليوم

وتمشيا مع التطور المذهل الذي أحرزه الانسان في عالم الطيران المدني الخاص بنقل الركاب والبريد والبضائع، فقد تطور تصميم الطائرات العامودية للأغراض العسكرية والمدنية بحيث طارت أول طائرة عامودية في فرنسا في سنة ١٩٠٧م لمدة دقيقة. وفي الفترة ما بين سنتي ١٩٣٠ و١٩٤٠م، صمم العديد من الطائرات العامودية التي تطير بسرعات مختلفة. وفي سنة ١٩٤٠م صممت الطائرة العامودية المثلى ذات المروحة الرأسية والذيلية. ويشكل استعمال الطائرات العامودية ركيزة هامة جداً في مجال الاسعاف الجوي وفي أعمال الانشاء والاستكشاف برا وبحرا.

واليوم وبعد محاولات عباس بن فرناس في الطيران، تطور هذا العلم وظهر المكوك الفضائي الى الوجود، حيث قام بالعديد من الرحلات بين الارض والفضاء، وربما يبدأ في السنوات القادمة بتنظيم رحلات فضائية بين القارات وعلى متنه الركاب المسافرون.. ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ صدق الله العظيم.

١ ــ رسم لأول طائرة قام بصنعها الأخوان «رايت» وكانت ذات جناحين وسطحين.
٢ ــ نموذج للطائرة التي قطع بها «لندبرغ» المحيط الاطلسي في رحلة الطيران التاريخية.
٣ ــ رسم للطائرة البرمائية التي كانت تستخدم للأغراض العسكرية.
٤ ــ نموذج لاحدى الطائرات الحربية.

٤



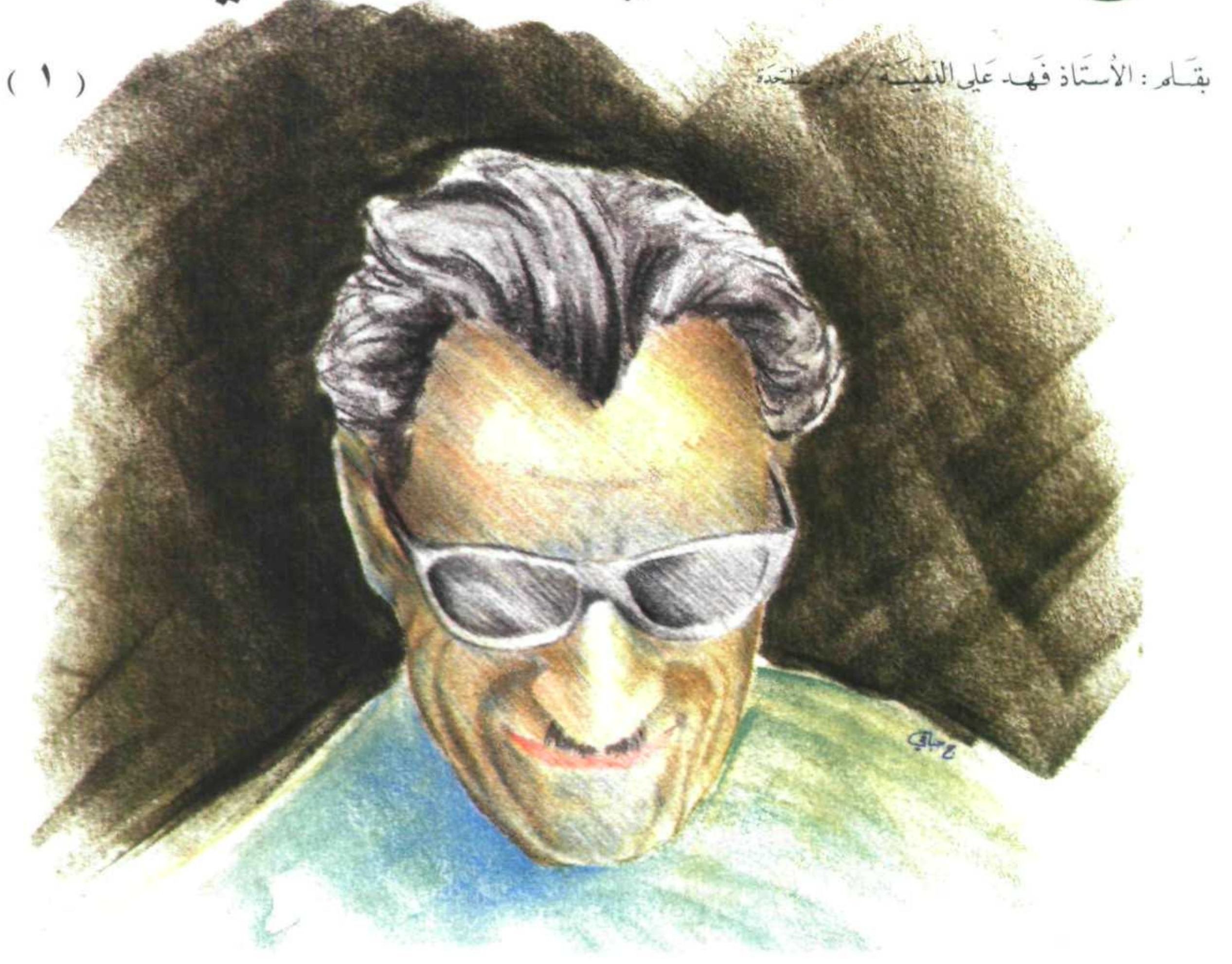
٣



مع طه حسين في سجن أبي العلاء

بقلم : الأستاذ فهد علي النمية / [illegible]

(١)



يطيب لك المسار وأنت تصحب طه في سجن أبي العلاء، ترتاح نفسك لتوقيع العبارات والالفاظ كما يسرح خاطرك في آفاق الفكر والفلسفة. فتحث صاحبك في كل لحظة، أو تحث نفسك في كل مسلك للمضي الى أبعد أبعاد ذلك السجن وأقصى نواحيه.

يمضي بك طه في ذلك السجن الواسع الذي ترى في كل ناحية منه شخص ذلك الأديب العربي العملاق « رهين المحبسين » كما سمى نفسه، بل رهين المحابس الثلاثة كما صور ذلك في شعره، بل رهين المحابس الستة على ما أراه في سيرته. وفي كل خطوة تخطوها مع طه ترى أطيافا من أفكار السجين متألقات هنا وهناك، مغردات كأنهن من بنات الأيك، حتى تشك في أمر ذلك السجن، فتود لو تسأل طه: إذا كان لم يخدع في ذلك الأمر أو لم يحاول خداعك، أو تود لو يسأل هو أبا العلاء: إن كان لم يخدع هو في ذلك عن نفسه.

أما طه فلا يملك للسجن وصاحبه الا الاعجاب والاجلال، وأما أنت فلن تملك ان لا تشك في تصور طه لمسألة السجن وأمر هذا السجين، وأما أبو العلاء فسيمتد به الصوت اليكما كئيبا يخفي وراءه ضياعا وحيرة:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

وتتوارى حيرة الشيخ وشكه ليبرز لك مكانهما في ذلك الصوت الشجي الكئيب أنفة وازدراء على تصور طه، ويقدر طه أنك توشك ان تقول له:

« انك إن مضيت على هذا النحو لم تقدم الينا كتابا في البحث العلمي ولا في النقد الأدبي، وإنما تتحدث الينا عن صديق » (١)

(١) النص لطه حسين.

فيبتدرك قائلا؟ « .. هذا حق، فاني لا أقدم اليك كتابا في البحث العلمي عن أبي العلاء، ولا في النقد الأدبي لأبي العلاء .. وإنما أتحدث اليك عن صديق لا يرجى نفعه ولا يتقى شره، ولا يصدر المتحدث عنه الا عن الحب المبرأ من الرغب والرهب ومن الطمع والاشفاق. أفتراك تكره مثل هذا الحديث؟! ».

أما أنا فانما أخشى أن يكره المعري نفسه شيئا من هذا الحديث الذي يدعي طه فيه البراءة، أو ان تعترض الحقيقة الواضحة عليه بما يوجب علينا له الكره.

وأتساءل أيضا: كيف يمكننا ألا نأخذ هذا الكتاب مأخذ الفن والفكر والأدب؟، إلا أن يكون فكاهات اذا أدركنا من ناحيتنا عليها معترضا أعيد الى أذهاننا أن المسألة ليست إلا فكاهة وعبثا، ولو صح هذا، فان طه به يكون قد صور كل هذه الرحلة الفكرية الى سجن المعرة في صورة الالعاب البهلوانية التي لا تترتب فيها حركة على حركة ولا ترد عليها فكرة معترضة بأي حال.

وليس عندي شك في أن طه لو أنصف نفسه على نحو ناقد هنا لما رضي لها هذه المطالبة بالتساهل النقدي في تلقي كتابه هذا.

ولو افترضنا أن هذا الأسلوب في الكتابة الأدبية العلمية يمكن سلوكه، أعني أسلوب الكتابة « .. عن صديق لا يرجى نفعه ولا يتقي شره، ولا يصدر المتحدث عنه الا الحب المبرأ من الرغب والرهب ومن الطمع والاشفاق»، وافترضنا أن طه على ما ظن كان قادرا على أن يقنعنا بان نسلك معه في سجن الشيخ على هذا النحو الناقد غير المنقود، ألا يكون من الخروج عن هذا النمط قوله عن السجين في موضع آخر من هذه الزيارة: «إني أكره أن أقسو عليه راضيا أو كارها مخافة أن ألقاه فاذا هو متأذ بهذه القسوة. لأني أحبه»؟.

لا ريب ان هذا الحب واضح في هذا النهج من الكتابة الأدبية.

ولكن كما يقال: لا يصح في النقد التحامل، ألا يقال: لا يصح فيه ايضا التعاطف؟ ان النقد هو المعرفة التي تشرح التحامل او التعاطف لتوصلنا الى حالة اقتناع، وليس هو الشرح الذي يعترف لنا بالتحامل او التعاطف في براءة عقلية ويفترض فينا الاقتناع.

ولنفترض ايضا على أي نحو أن طه أراد لهذا الكتاب أن يقرأ ولا ينقد، فهل يعني هذا أننا سنعطل أفكارنا ووجداننا خلال قراءة هذا الكتاب، أي سنكون بلهاء بحيث كلما تجلى لنا في قراءته نقد نقف دون ذلك ولا نحاوله؟!.

★ ★ ★

يبلغ اعجاب طه بالسجين حدا نائيا حين يقف بك عند نافذة بناحية من أنحاء السجن فيخبرك بانه يمكنك ان ترى من خلال تلك النافذة شخصين وقفا خارج السجن لهما بعض صفات هذا السجين لكنهما أقل منه شأنا، وأدنى منزلة برغم كل ما لهما من عظيم الشأن ورفيع المنزلة.

فاذا نظرت من خلال تلك النافذة رأيت أمامك بشارا وأبا الطيب، فاذا عدت الى صاحبك وسلك بك مسلكه في الموازنة بين المعري وهذين التفت اليك ملخصا إعجابه بالسجين في قوله:

«أرأيت الى الموازنة بين أبي العلاء وصاحبيه هذين إلام تنتهي وماذا تعقب في النفس من اعجاب مر بهذا الرجل الضئيل النحيل الذي شارك صاحبيه في كثير من أشياء كانت تقتضي ان تتشابه حياتهم ولكنه مع ذلك امتاز منهما أشد الامتياز وأعظمه؟!

أما الموازنة بين بشار وأبي العلاء فامر له ما يبرره، لاتفاق الرجلين في بعض شئون حياتهما وبعض ما نزعا اليه في شعرهما، فكلاهما قد أزاقه العمى بؤسا مرا، وحمله جرحا عميق الغور، فتشاءم حتى الكره، وتألم حتى الاحتقار.

تشاءم بشار فكره المجتمع وسلطته، وتشاءم أبو العلاء فكره ذاته وسلطانها، وتألم بشار فاحتقر الناس وعقيدتهم، وتألم أبو العلاء فاحتقر نفسه ويقينها.

كلاهما ضعضعه العمى وما أقعده فيه من حرمان، والناس وما قابلوه به من رفض واحتقار، والحياة وما ضيقت به عليه. فنزع بشار بسبب ذلك الى تحطيم بعض ما فرضه عليه المجتمع من قيود، ونزع أبو العلاء الى صنع قيود لنفسه فوق ما لديها من قانون الجماعة.

كلا الرجلين — كما قال طه — ذكي القلب الى أبعد حدود الذكاء، دقيق الحس الى أقصى غايات الدقة، قوي الشعور الى أرقى مراتب القوة، غزير العلم واسع المعرفة.

أما أبو الطيب فنوع آخر من الرجال غير هذين الشاعرين المسرفين، وان كان في نهاية المطاف يؤول الى ما آل اليه بشار وأبو العلاء من الضياع وفشل المحاولة الفنية العملية.

وهكذا فالموازنة بين أبي الطيب وبين أبي العلاء ستؤدي الى شيء من الاختلاف قد لا يكون أبدا لمصلحة أبي العلاء.

فلسفة أبي الطيب واقعية، أما فلسفة المعري فخيالية. ولقد جرب المعري فلسفة أبي الطيب عهدا قصيرا لا يتجاوز العامين، ولكنه لم يكن من معدن صاحبها فما لبث أن القاها عن عاتقه في بغداد وفر هاربا الى معرة النعمان وفي نفسه قوله:

ذر الدنيا اذا لم تحظ منها
وكن فيها كثيرا أو قليلا
واصبح واحد الرجلين: إما
مليكا في المعاشر أو أبيلا

وثم رضي من الحياة بقعود الأبيل.

أما أبو الطيب فقد خلق لتلك الفلسفة العاملة، فما زال يحملها على عاتقه، يغالب ويحاور، ويمدح ويهجو، ويحب ويكره، ويترفع ويتودد، حتى ضيقت عليه الأيام وردته الى شك مرير:

بم التعلل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن
أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغ من نفسه الزمن

وبرغم ذلك ظل ماضيا حتى دفع روحه فداء لطموحه وديدنه:

لا تلق عيشك الا غير مكترث
ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به
ولا يرد عليك الفائت الحزن

فاينه من هذا السجين الذي أقعدته فلسفته وما أدت به إلا الى الشك والشكوى.

وبعد كل هذا يلخص لك طه موازنته بين الرجلين قائلا: «قس الى ضعة أبي الطيب رفعة أبي العلاء، ان كان يمكن ان تقاس الرفعة الى الضعة»؟!.

★ ★ ★

ما هو سر الحب الذي يكنه طه لأبي العلاء؟، هذا هو السؤال الذي كنت أقدر أن أجد إجابته عند أولى مراسيم هذه الزيارة. اما تقرير مسألة الحب تلك فهو شيء لم أكن احتاج اليه لأني كنت أعرف ذلك في عدد هذه المؤلفات التي تركها طه عن شيخه ابتداء بـ «تجديد ذكرى أبي العلاء»، وانتهاء بالكتاب الضخم الذي أشرف عليه بعنوان «تعريف القدماء بأبي العلاء». وما زلت أعرفه في الاسلوب الحنون الذي يتناول به أشعار الشيخ كلما عن له أن يتناول شيئا منها.

فهو في هذه الزيارة مثلا يدخل بك على الشيخ في حجرة واسعة من حجرات سجنه [٢] وقد جلس الشيخ على حصير أقرب الى البلى منه الى الجدة، وبين يديه نفر يكتبون وفي الحجرة قوم آخرون كثيرون يسمعون ولا يكتبون. وهو يملي قوله:

يدل على فضل الممات وكونه
إراحة جسم أن مسلكه صعب
ألم تر أن المجد تلقاك دونه
شدائد من امثالها وجب الرعب
إذا افترقت أجسامنا حط ثقلنا
ونحمل عبئا حين يلتئم الشعب
وأمسى ثوى راعيك وهو مودع
ولو كان حيا قام في يده قعب

وفي صوت طه ستجد «.. صوت الشيخ شاحبا حزينا قد القيت عليه مسحة من كآبة، ولكنه كان في الوقت نفسه ثابتا ممتلئا يمازج حزنه شيء من الرضى والأمن، وشيء آخر لا يكاد يحس كأنه يمثل غبطة هادئة وابتهاجا متواضعا بما أتيح للشيخ من فوز».

ثم يلتفت اليك طه قائلا:

«أعجبني هذا الصوت الشاحب المشرق، المحزون المبتهج، ووجدت في الاستماع له لذة وأنسا لم أجدهما في الاستماع لصوت قط».

وقد توافق أنت طه الاعجاب بهذه الابيات وقد لا توافقه، أما أنا فأحس في مثل معالجته الفنية هذه لشعر الشيخ، وكثرة لقاءاته العلمية به أن هنالك جامعا ما زال يجمع بين الرجلين ويوثق بينهما الاجتماع، فأي شيء هو ذلك الجامع؟. أهو اشتراكهما في فقد البصر وفرط معاناة كل منهما لذلك؟. إن كان الأمر كذلك فهو دليل على سذاجة فكرية في بحث طه عن مثله ومواضيع اجلاله وتمعنه الفني والفلسفي □

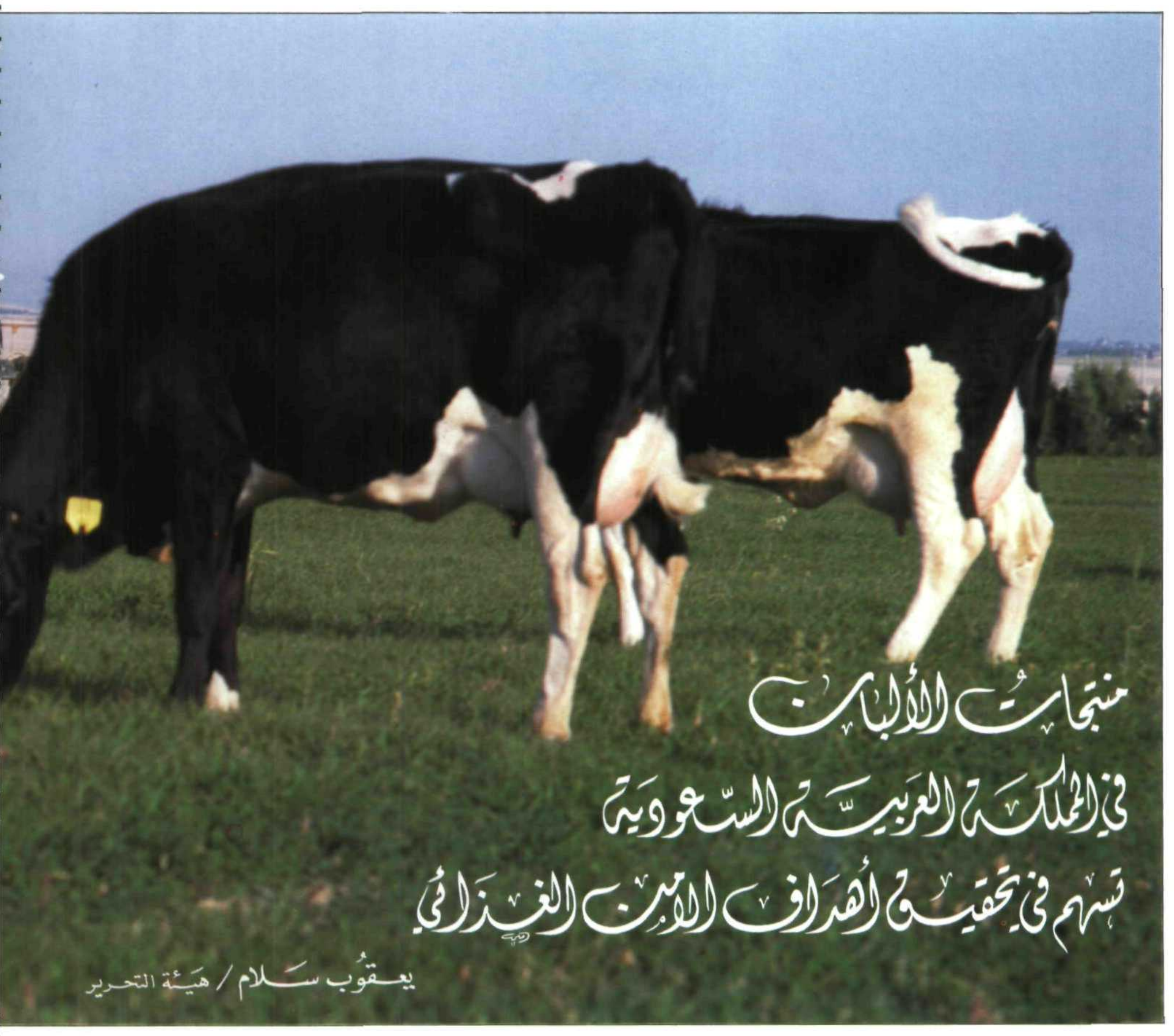
---

(٢) الوصف لطه حسين.

دوماً أناجيك

شعر محمد أمين أبوبكر / الدمام

مع الأسحار والآصال يا أماه،
من مهدِ الهُدى دوما أناجيك
وبالزهرات والوردات والنحلات،
يا أماه أوصيك
وهذا قلبي الولهان يا أماه،
بالأشواق يأتيك
مساء الخير يا أمي وربُّ الكون يحميك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك
تركت دفاتري عشبا وأزهارا
وأطيارا تغنيك
وشدوي ههنا دوماً
أحمله أمانيك
وأرقب همسة تحيي فؤادي في
ظلام البعد، من فيك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك
غرست الورد ألوانا تسلِّيك
رياحينا ويسمينا وجوريا
وزنبقة تحاكيك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك
سفينتنا تصارع في بحار الموج تلطمه
ويلطمها لترقد في
جنانٍ من شواطيك
وعين القائد المحزون قد زاغت
تطوف الموج والآفاق ترقب طالعا
يمحو ظلامي من أراضيك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك
فهل من زهرة جادت بها الأيام،
شمسا من أياديك
وهل من بسمة وضاءة جوف الدجى
كالبدر يشرق بالضيا،
دوما لأسمع من حكاياها،
أغانيك
فلن أنساك يا أماه،
لن أنسى أياديك
ولن أنسى غناء القلب،
في أحضان واديك
فأشعاري
ومنثوري
وأدعيتي
أناشيد تحييك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك
مضى زمن على الطفل الذي،
يهوى مغانيك.
بعيدا عن تراتيل الخمائل،
في أعاليك
بعيدا عن مزامير السعادة،
في براريك،
بعيدا عن ينابيع الصفاء،
على روابيك،
فكيف اليوم؟ يا أماه مكتبتي؟
وكيف اليوم يا أماه أوراقي؟
وكيف اليوم يا أماه نحلاتي ووورداتي؟
وكلهم قد افترشوا
بساط الحب والتحنان في
دنيا سواقيك
فلا تنسي وصياتي
ولا تَدَعي كتاباتي
على الجدران تمحىٰ من نواحيك
تركت قصائدي
ورسمت أشعاري
على الحيطان،
في البستان،
فوق براعم الأغصان،
أحلاما تواسيك
مع الأسحار والآصال يا أماه
من مهد الهدىٰ دوما أناجيك.



منتجات الألبان في المملكة العربية السعودية تسهم في تحقيق أهداف الأمن الغذائي

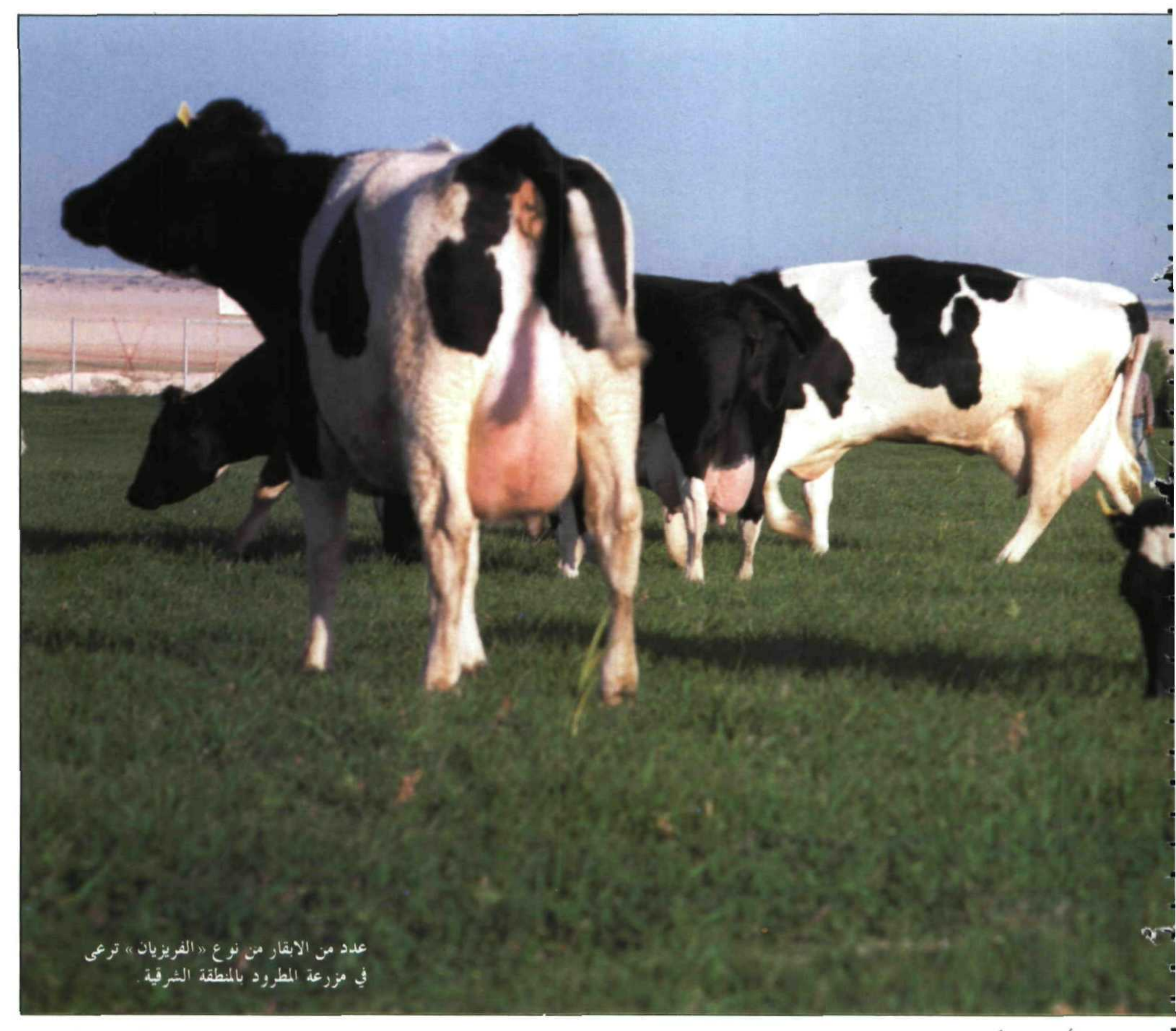
يعقوب سلام / هيئة التحرير

تلعب الالبان ومنتجاتها دورا مهما في التغذية باعتبارها من المواد الغذائية الاساسية لبناء الجسم السليم، فالحليب، وهو المادة الاساسية في هذه الصناعة، يجمع في مكوناته كل الفيتامينات الضرورية لبناء الجسم. وقد اجمع علماء التغذية على ان الغذاء الاساسي الذي يحتاج اليه الانسان في حياته ينبغي ان يحتوي على الماء والاملاح والسكريات والدهنيات والبروتينات والفيتامينات. والحليب هو الغذاء الوحيد الذي يحتوي على كل هذه المواد الاساسية المطلوبة للانسان.

وانطلاقا من هذا المبدأ أخذ الحليب ومشتقاته العديدة يستقطب اهتمام الانسان، فراح يعقد المؤتمرات بهدف دراسة وتطوير سبل انتاج الالبان وتقييم اثرها على برنامج الغذاء، وتأمين أفضل المستويات الصحية لتصنيعها. ولعل آخر هذه المؤتمرات، «المؤتمر العربي الثاني لصناعة الالبان». الذي عقد في تونس في ذي الحجة ١٤٠٤هـ الموافق سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ تحت شعار «تطوير انتاج الالبان ركيزة اساسية لتحقيق الأمن الغذائي العربي».

ويؤكد كتاب الله الكريم على أهمية الحليب «اللبن» وكذلك على أهمية الانعام المنتجة لهذه المادة السائلة البالغة الاهمية، يقول المولى عز وجل: «**وان لكم في الانعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**» [١].

أخذت صناعة الالبان في المملكة العربية السعودية في السنوات القليلة الماضية تشق طريقها بخطى حثيثة ضمن مخططات مدروسة تهدف الى تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال صناعة الالبان، التي تشكل احدى لبنات الصناعات الغذائية الرئيسية في المملكة، وذلك في اطار برنامج عام طموح تبنته الدولة لتحقيق



عدد من الابقار من نوع «الفريزيان» ترعى في مزرعة المطرود بالمنطقة الشرقية.

الأمن الغذائي في البلاد. وقد قدمت الحكومة الدعم والتشجيع اضافة الى العديد من الحوافز الأخرى المشجعة للمواطنين المستثمرين للمساهمة في خطة التنمية الشاملة التي تبنتها الدولة.

وانطلاقا من هذه القاعدة الرئيسية في التنمية الصناعية، خرجت صناعة منتجات الالبان في المملكة الى حيز الوجود. وقد دعمت هذه الصناعة بأحدث المعدات المستخدمة في اعداد هذه المنتجات بالاضافة الى الاستفادة من التقنية الحديثة في تصنيعها ومناولتها. وقد حققت صناعة الالبان نجاحا كبيرا جعلها تقف على قدم المساواة مع الصناعات المماثلة في الاقطار المتخصصة في انتاج هذا النوع من الغذاء سواء في الوسائل التكنولوجية المستخدمة في الانتاج أو النظافة والعناية الصحية.

ان الهدف الذي تسعى هذه الصناعة الوطنية الى تحقيقه هو تأمين الاحتياجات الاستهلاكية المحلية للمواطنين منها. وتقدم الحكومة مختلف أنواع الدعم لهذه الصناعة على شكل نشرات واستشارات ودراسات للجدوى الاقتصادية والكلفة الاجمالية والادارية. كما تقدم الدعم المادي عن طريق اعفاء المعدات المستوردة لهذه الصناعة الغذائية اضافة الى تقديم الاراضي لمزارع الابقار والمعونات المادية الأخرى من اعلاف واعفاءات أخرى للمواد التي تدخل في صلب صناعة الالبان. وتتقيد جميع مصانع الالبان الوطنية بالمواصفات السعودية في تصنيع منتجاتها، كما تخضع في الوقت نفسه للمراقبة المستمرة من قبل الادارات الحكومية المسؤولة، من حيث الجودة والنظافة الصحية.

وفي اطار الشعور بأهمية هذه المنتجات الغذائية المتكاملة في حياة المواطن، ونظرا لأهمية هذه الصناعة الحديثة على نطاق المملكة

قامت «**القافلة**» بجولة في هذه المصانع لتعريف القارىء بما لهذه الصناعة الحيوية من دور فعال على صعيد المملكة وما حققته من انجازات بالغة الأهمية في اطار برنامج الأمن الغذائي. ومن بين المصانع التي شملتها جولة «**القافلة**» : مصانع حلواني اخوان لمنتجات الالبان، ومصنع نخش للألبان والايسكريم، والشركة الدانمركية السعودية للألبان المحدودة وشركة جمجوم فورموست بجدة ومصنع الألبان الوطني بسيهات ومؤسسة العثمان للانتاج والتصنيع الزراعي بالاحساء والشركة العربية السعودية للزراعة وانتاج الالبان «الصافي» والشركة الوطنية للتنمية الزراعية «نادك» ومشروع الخرج الزراعي.

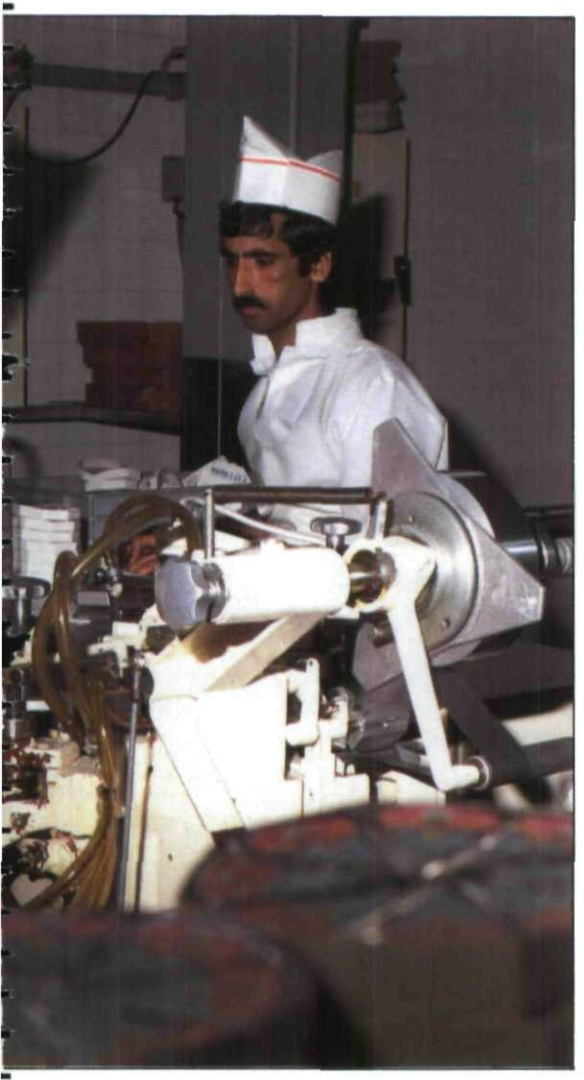
ويقدر عدد المشاريع الزراعية والمصانع المتخصصة في تصنيع منتجات الألبان في المملكة بحوالي ٩٠ مشروعا منتشرة في جميع انحاء المملكة تسهم كلها في تأمين متطلبات المملكة من منتجات الالبان. وتستخدم هذه المصانع وسائل تكنولوجية وأجهزة حديثة في تصنيع منتجاتها. ويوجد لدى كل مصنع من هذه المصانع مختبرات يعمل فيها فنيون للتأكد من الجودة النوعية لمنتجات الالبان ومطابقتها للمواصفات السعودية.

وتنتج هذه المصانع اصنافا متعددة من الالبان ومشتقاتها تشمل حليب الشرب واللبن الرائب وهو ما يعرف بلبن الشرب واللبن الزبادي، وكذلك اللبنة والزبدة والقشدة والاجبان الطرية «المصهورة»، وهي لانتاج جبن المثلثات والكاسات والقوالب. اضافة الى ان هذه المصانع تنتج اصنافا عديدة من الايسكريم المطعم بالفواكه والشيكولاته. وفيما يلي لمحة سريعة عن هذه المصانع :

مصانع حلواني اخوان في جدة

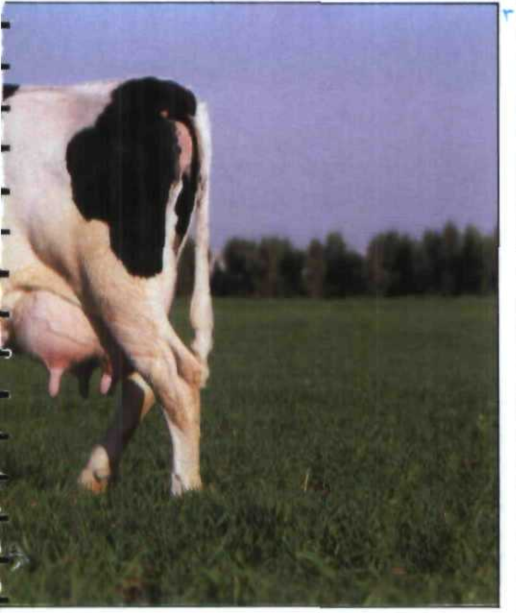
بدأ حلواني اخوان بتصنيع الحلاوة الطحينية في جدة منذ سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) وكانت طاقة الانتاج آنذاك لا تتجاوز ٢٥٠ كيلوغراما في اليوم. وفي سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) تم تأسيس أول مصنع بطاقة ١٢٠٠ كيلوغرام في اليوم وأخذت الطاقة الانتاجية في تزايد مستمر تلبية لاحتياجات السوق المحلية. وفي سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م تم انشاء المصانع الحديثة العاملة الآن وبلغ انتاج الحلاوة الطحينية ٢٤ طنا في اليوم.

وقد شجع النجاح الذي حققته مصانع الحلواني اخوان للحلاوة الطحينية اضافة الى الخبرة الطويلة في تصنيع المواد الغذائية، على افتتاح مصانع الألبان. وفي حديث مع المهندس منير العيسى، مسؤول الرقابة عن تطوير الانتاج في مصانع حلواني اخوان قال : ان المصانع هي عبارة عن مجمع يضم ثلاثة مصانع انتاجية هي: مصنع الالبان والاجبان وتبلغ طاقته السنوية حوالي ١٠٠ طن من اللبن الزبادي بالكاسات واللبن المصفى واللبنة بالزيت والجبن الابيض، ومصنع الايسكريم بطاقة



١ ــ آلة حديثة لتعبئة جبن المثلثات في احجام متنوعة في مصنع حلواني بجدة.

٢ ــ ساعدت أجهزة الري المحوري الحديثة في انجاح زراعة البرسيم واعلاف الأبقار.

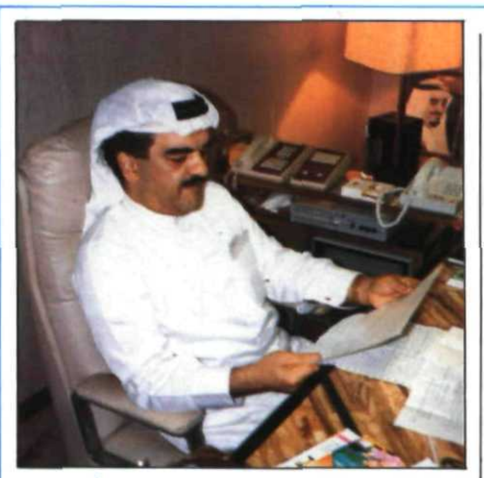




انتاجية تبلغ ٦٠٠ طن في السنة، وهو ينتج آيس كريم بالفواكه والايسكريم العربي وايسكريم سندويش، ومصنع الجبن الطري «المصهورة» وتبلغ طاقته الانتاجية ٢٤٠٠ طن في السنة وينتج جبن المثلثات والكاسات والقوالب.

ويوجد مختبر عام مجهز بأحدث وسائل الاختبار اللازمة لمعاينة ومعايرة منتجات الشركة. ويضيف المهندس منير قائلا: «ان مصنع الجبن المصهور هو الاول من نوعه في المملكة، وقد نشأت فكرة تصنيع هذا النوع من الاجبان للحد من الكميات الكبيرة المستوردة منه. وتبلغ طاقتنا الانتاجية من الجبن المصهور حوالي ثلاثة الآف طن في السنة وتشمل تشكيلة واسعة من المثلثات سعة ٢٥٠ غراما و ١٤٠ غراما وجبن الكاسات سعة ٢٥٠ غراما و ١٢٥ غراما وغيرها من الأنواع الأخرى. ويعمل في هذه المصانع مجتمعة حوالي مئة شخص اضافة الى عدد من المهندسين والكيميائيين والخبراء وفنيي المختبرات. ويجري توزيع المنتجات في جميع انحاء المنطقة الغربية، والمناطق الأخرى من المملكة. والحري بالذكر ان انتاج الجبن المصهور يتم بطريقة التعقيم المعروف بـ « Ultra High Temperature » وهي من أحدث طرق انتاج الجبن المصهور. وتبلغ طاقة انتاج الالبان الطازجة حوالي ١٥٠٠ لتر حليب في الساعة على شكل لبن زبادي ولبنة وجبن ابيض واللبنة المكورة مع الزيت. اما مهمة المختبر فتنحصر في رقابة الانتاج وتطويره، وهو يرتبط مباشرة مع المدير العام ولا يمكن السماح بفسح أي انتاج الا بموافقة المختبر وله الصلاحية التامة في ايقاف أي انتاج لا تتوفر فيه الشروط والمقاييس المطلوبة حسب المواصفات السعودية. اما الاختبارات التي تجرى على المنتجات فهي متعددة وتشمل الاختبارات الفيزيائية والكيميائية والجرثومية. وتخضع الاختبارات الأخيرة لفحص دوري. اما أنواع الجبن الأبيض فتخضع لاجراء خاص، اذ لا يتم انزالها الى الاسواق الا بعد الانتهاء من الاختبارات الجرثومية عليها وذلك نظرا لكون الاجبان تحتاج بشكل خاص الى عناية مكثفة خلال عمليات الانتاج والمناولة».

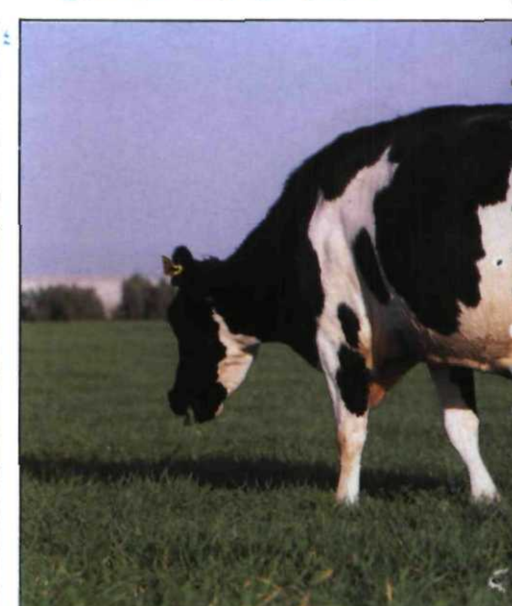
وقد تحدث الينا السيد منير حلواني مدير عام مصانع حلواني اخوان بهذا الصدد

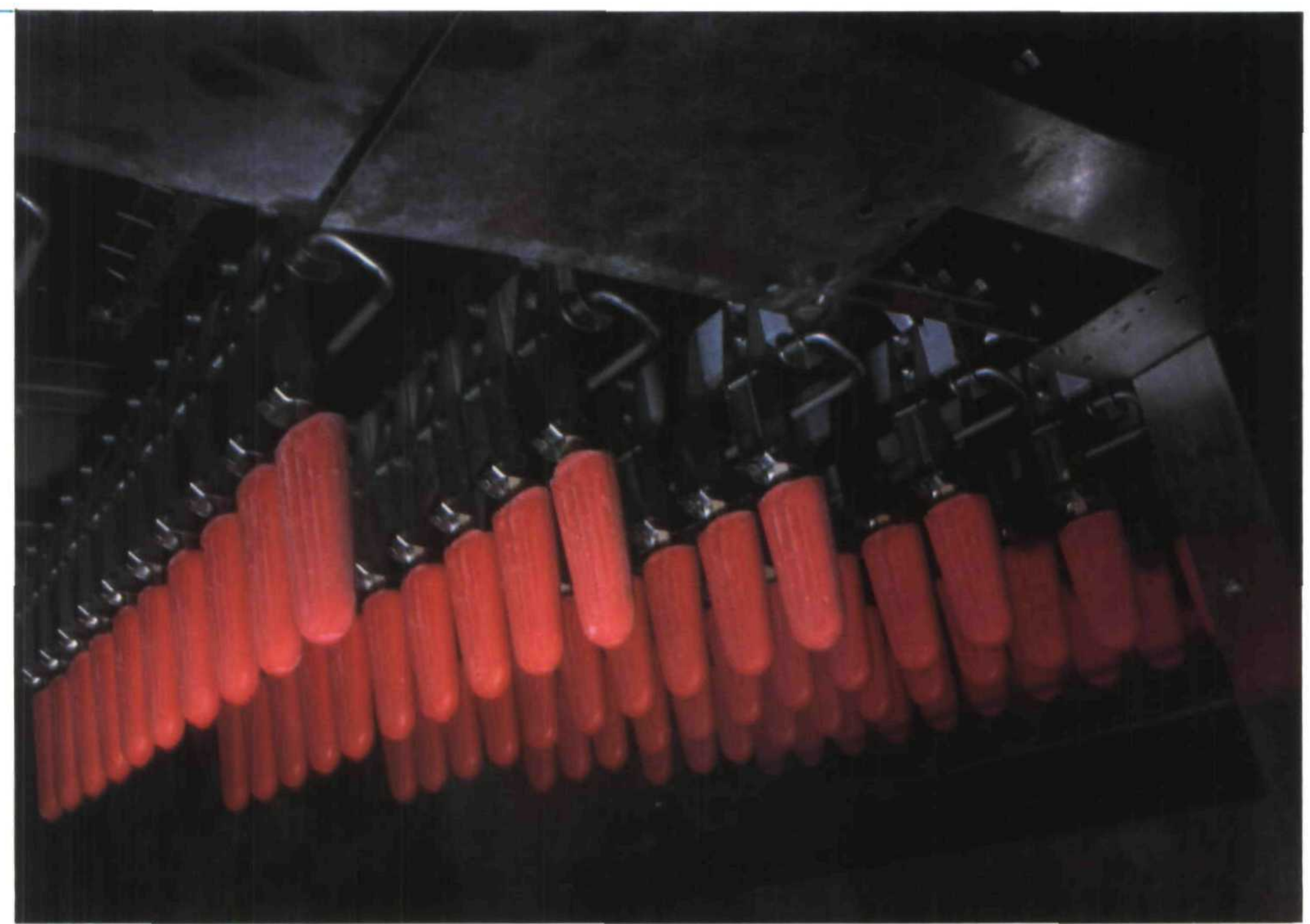

السيد منير حلواني مدير عام مصانع حلواني أخوان — جـدة.


٣ — احدى الأبقار التي تدر حوالي ٣٠ لترا من الحليب يوميا.

٤ — مجموعة من حزم البرسيم التي تستخدم علفا للابقار من انتاج مزرعة الصافي بالخرج.







فقال: «اننا نستخدم آلة لتعقيم الجبن بالبخار وهي الاولى من نوعها في الشرق الاوسط، وربما حتى في اوروبا فهم ما زالوا يعقمون الاجبان باستخدام المواد الكيميائية، بينما تحث منظمة الصحة العالمية على تحاشي استخدام المواد الكيميائية في عمليات التعقيم لما لها من آثار جانبية. ويقدر استهلاك المملكة من الجبن المصهور بحوالي ٢٦ الف طن في العام».

الشركة الدانماركية السعودية للألبان المحدودة "السعودية" في جدة

تأسست الشركة في سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)، وهي شركة ذات مسؤولية محدودة بين مجموعة من رجال الاعمال السعوديين وشركة دنيش تيرنكي ديرز الدانمركية. وتم انشاء المصنع والتجهيزات الأخرى في فترة أقل من عام. وبدأ الانتاج في أواخر سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م).

وفي حديث مع المهندس سامي ندرة حجار عن نشاطات هذه الشركة، قال: «خلال نصف عام من بدء العمل وصل الانتاج الى حوالي ٢٠ طنا في اليوم، وبعد ستة أشهر جرت أول توسعة للمصنع ووصل الانتاج الى حوالي ٣٥ طنا في اليوم من منتجات الالبان، ورفع رأسمال الشركة من ٥ ملايين الى ١١,٣ مليون ريال في نهاية ١٣٩٩هـ. ثم كانت التوسعة الثالثة للمصنع فوصل الانتاج الى حوالي ١٠٠ طن في اليوم. ويبلغ المعدل الحالي للانتاج الكلي حوالي ١٥٠ طنا في اليوم من مختلف أنواع منتجات الالبان.

وبالنسبة للنوعية والمراقبة فان الشركة تملك مختبرا كبيرا مزودا بأحدث أجهزة الاختبار، ويعمل فيه عدد من الفنيين من ذوي الخبرة في هذا المجال. ويبلغ عدد العاملين في جميع اقسام المصنع ٣٩٢ شخصا الى جانب عدد من المهندسين المتخصصين في التغذية والكيمياء. وتنتج الشركة حليبا كامل الدسم وحليبا بنكهة واللبن الرائب واللبن الزبادي والجبن الابيض ونكهات متنوعة من الآيسكريم».

وتقوم الشركة الدانمركية السعودية للالبان المحدودة بابحاث كثيرة من أجل تصنيع

١ ــ آلة ضخمة لاعداد الآيسكريم على شكل اصابع، تابعة للشركة الدانمركية السعودية للالبان المحدودة جدة.

٢ ــ احدى الآلات الحديثة لتعبئة منتجات الالبان في مصنع حش جدة.

٣ ــ قطيع من ابقار «الفريزيان» في مزرعة حش بالمنطقة الغربية.

٤ ــ حلب الابقار وتجميع الحليب ودفعه الى الخزانات يتم تلقائيا دونما ان يمسه أحد.

منتجات جديدة واجراء تحسينات على المنتجات الحالية. ويخضع الانتاج الى المقاييس والمعايير والمواصفات السعودية. كما وانها تملك اسطولا من السيارات الكبيرة المبردة لنقل منتجاتها المختلفة من الالبان الى مناطق جدة والطائف ومكة المكرمة وخميس مشيط وينبع وتبوك والمدينة المنورة وغيرها من المناطق.

مصنع بخش للألبان والأيس كريم

يقع المصنع قريبا من المنطقة الصناعية بجدة وهو مصنع حديث مزود بآلات خاصة بانتاج الحليب المبستر والروب والزبادي واللبنة وكذلك انتاج الجبن الابيض اضافة الى انتاج أنواع من الآيسكريم الذي يصل انتاجه الى اثني عشر طنا في اليوم.

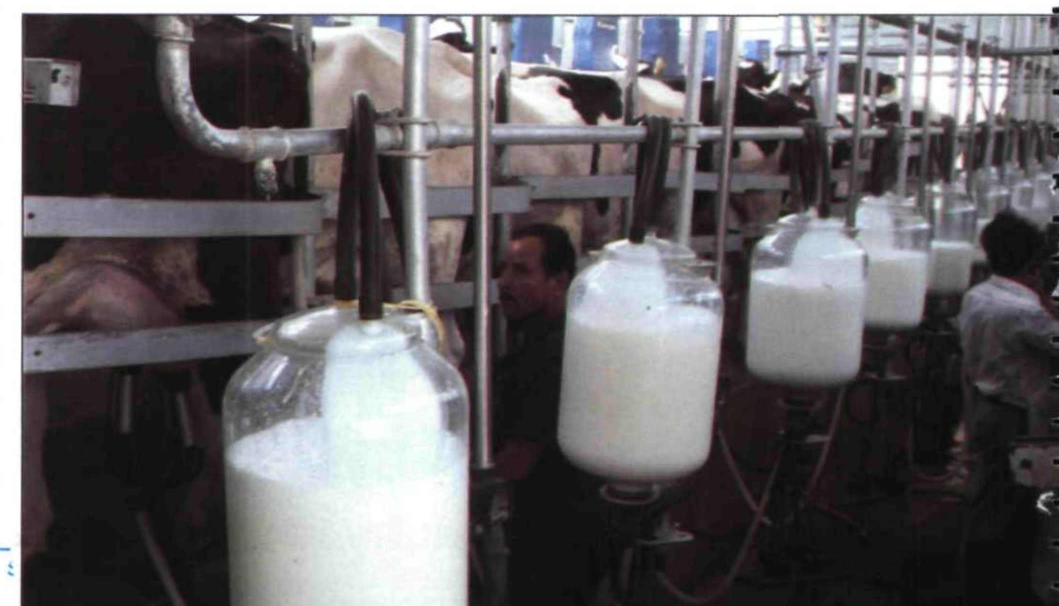
وقد بدأ المصنع في الانتاج الفعلي في سنة ١٣٩١هـ، ويستخدم الحليب الطازج من مزرعة الأبقار التابعة له اضافة الى الحليب الجاف حيث تخلط كميات من الحليب الطازج مع كميات أخرى من الحليب الجاف حسب مواصفات ومعادلات مدروسة، ويصل انتاج المصنع من منتجات الالبان الى حوالي ٦٠ طنا في اليوم.

وفي حديث مع السيد عبدالرحمن عبدالحميد بخش رئيس مجلس الادارة، عن المعمل ومشروع مزرعة تربية الابقار قال: «تبلغ مساحة المعمل ٦٠٠٠ متر مربع، وهو مزود بأحدث المعدات، ويعمل فيه وفي المزرعة ٢٠٠ شخص، ويمكن تشغيل المعمل حسب متطلبات السوق المحلية».

وعن المزرعة قال السيد عبدالرحمن: «لقد اشتريت مساحات واسعة من الاراضي الصحراوية وحولتها الى اراض خضر واقمت عليها مزرعة للابقار وحفرت فيها ٢٢ بئرا ارتوازية. وبدأ مشروع الابقار بحوالي ٣٠٠ رأس من الابقار ثم ارتفع عددها الى ١٢٤٠ رأسا من الابقار الحلوب والجافة والعجول والطلائق. وجميع الابقار في المزرعة هي من نوع «الفريزيان» وهي تعطي انتاجا كبيرا من الحليب القليل الدسم، وتنتج البقرة الواحدة ما بين ٢٠ و ٣٠ كيلوغراما من الحليب في







اليوم. وتنتج المزرعة حاليا طنين من الحليب الطازج يوميا حيث تخلط هذه الكمية مع كميات من الحليب الجاف لتدعيم خط الانتاج في المعمل. ويتم توزيع المنتجات في مناطق الغربية والوسطى والجنوبية.

شركة جمجوم - فورمست المحدودة في جدة

تأسست الشركة في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وبدأت أعمال الانشاءات في سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، بينما بدأ الانتاج الفعلي في اوائل سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، ويبلغ معدل انتاجها اليومي ١٠٠ طن من منتجات الالبان.

يقع المصنع في المنطقة الصناعية بجدة، وهو يضم العديد من الآلات والخزانات والخلاطات. ويعمل في الشركة حوالي ١٨٠ شخصا بين عامل ومهندس وفني واختصاصي. ويضم المصنع مختبرا لفحص المنتجات بشكل مستمر.

ويساند الشركة اسطول من السيارات يتولى توزيع منتجاتها في جدة ومكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة وينبع. كما تقوم القاطرات الكبيرة بنقل منتجاتها الى مناطق المملكة الأخرى حيث يتولى وكلاء الشركة توزيعها.

وتقوم الشركة بانتاج الحليب المعقم ومدة صلاحيته ثلاثة أشهر، والحليب المبستر واللبن الزبادي العادي واللبن بالفواكه واللبنة والقشدة واللبن الرائب ويحمل اسم بلادي، وكذلك لبن الشرب والآيسكريم.

هذا ويوجد في المنطقة الشرقية من المملكة عدد من مصانع منتجات الالبان التي توفر للاسواق المحلية احتياجاتها اليومية من هذه المنتجات، ومن هذه المصانع مصنع الالبان الوطني، والمؤسسة السعودية للتموين والتعهدات، ومؤسسة العثمان للانتاج والتصنيع الزراعي، والشركة السعودية للمواد الغذائية، والزامل لتصنيع المواد الغذائية، ومنتجات البان الافندي. بالاضافة الى وجود عدد آخر من مصانع منتجات الالبان في القصيم.

مصنع الألبان الوطني في سيهات

يعتبر أول مصنع من نوعه لتصنيع منتجات الألبان في المملكة، وقد انشىء سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) وبدأ الانتاج الفعلي سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٧م) بحوالي ٤٧٦ الف لتر في العام. ويمتلك المصنع ومزرعة الابقار التابعة له السيدان عبدالله وابراهيم المطرود.

وفي حديث مع السيد عبدالله المطرود حول نشأة المصنع قال: « بعد تزايد عدد السكان في المنطقة الشرقية وازدياد الطلب على منتجاتنا من الحليب والالبان، وبعد ان قمنا بتوسعات ثلاث على المصنع القديم بدأنا بالتفكير في انشاء مصنع متكامل وتأسيس



مشروع زراعي للابقار. وفي سنة ١٤٠٠هـ وصلت المجموعة الاولى من الابقار من هولندا ونيوزيلندا وامريكا وقمنا بتشييد المصنع الجديد في موقعه قرب سيهات بمنطقة البدراني، وهو من أحدث مصانع منتجات الالبان في الشرق الاوسط، ومزود بأحدث المعدات وتبلغ طاقته الانتاجية القصوى حوالي ٩٠٠٠٠٠ لتر في اليوم، وقد بدأ الانتاج من المصنع الجديد في ربيع الاول سنة ١٤٠١هـ الموافق يناير ١٩٨١».

وعن مزرعة الابقار قال: «تبلغ مساحة المزرعة ٤ ملايين مترمربع، ولدينا الآن ٢٤٠٠ رأس من الابقار نصفها من البقر الحلوب، وهي موزعة على اثنتي عشرة حظيرة، ويبلغ الانتاج اليومي من الحليب حوالي ١٢٥٠٠ لتر».

وتقع المزرعة على بعد ٥٠ كيلومترا من الظهران على طريق ابو حدرية القديم، وقد بدأت بحوالي ١٠٥٠ رأسا من البقر من نوع «هولستاين»، ثم ارتفع هذا العدد الى ٢٤٠٠ رأس. وقد تم حفر ثماني آبار ارتوازية للري.





١ — السيد عبدالله المطرود اثناء حديثه عن نشأة المزرعة ومصنع الالبان.

٢ — آلة ضخمة لانتاج الحليب الطازج في مصنع الالبان الوطني بسيهات حيث تندفع علب الحليب بصورة تلقائية.

٣ — في مختبر يوالي فحص عينات من الانتاج للتأكد من الجودة النوعية ومطابقتها للمواصفات السعودية.

٤ — بعض مسحات مصنع الالبان الوطني في سيهات.

وهناك ١٤ جهازا محوريا للري تعمل بالطاقة الكهربائية وتقوم بتوزيع المياه بالتساوي على المزروعات التي تستخدم علفا للابقار.

وينتج المصنع الجديد الذي يشغل مساحة ١٢ الف متر مربع، ويعمل فيه ١٥٠ عاملا، ينتج حليب الشرب كامل الدسم ولبن الشرب ولبن الزبادي واللبنة المشتقة من الحليب الطازج اضافة الى أنواع عديدة من الايسكريم بمختلف الاشكال والاحجام. وتغطي منتجاته المنطقة الشرقية والرياض.

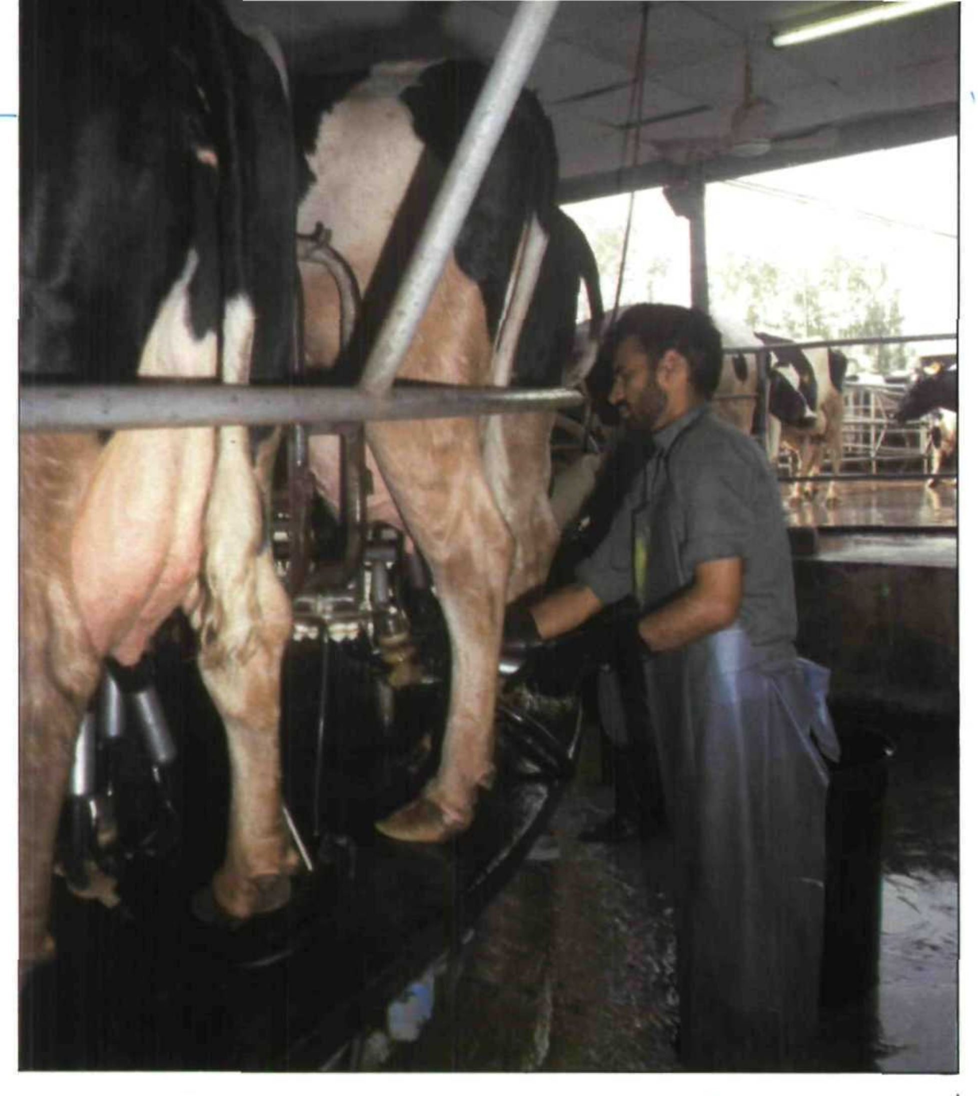
وقد جرى تركيب خطين جديدين لانتاج حوالي ١٣ صنفا من منتجات الالبان الصالحة للاستخدام لمدة ٣ أشهر، وسيتم تشغيل هذين الخطين خلال هذا العام. كما يوجد في المصنع مختبر مزود باجهزة الاختبارات والفحوصات الحديثة.



٤

٣

١



مؤسسة العثمان للإنتاج والتصنيع الزراعي في الأحساء

وهي مؤسسة انشئت حديثا تضم مزرعة للابقار، ومصنعا لمنتجات الالبان من الحليب الطازج. وقد وضع حجر الأساس لهذا المشروع في سنة ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م ووصلت المجموعة الاولى من الابقار في النصف الثاني من سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م، وبدأ العمل في المصنع في سنة ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م. وتبلغ الطاقة الاستيعابية لمزرعة الابقار الف رأس وهي من نوع «الفريزيان» الذي يعد من اكثر الابقار ادرارا للحليب.

وفي حديث مع الدكتور صالح ابو التين مدير عام المؤسسة قال: «لقد قمنا بدراسة للأحوال المناخية لمنطقة الاحساء واستفدنا من دراسات وزارة الزراعة حيث اتضح لنا ان درجة الحرارة والرطوبة في منطقة الاحساء ملائمة جدا لمثل هذه المشاريع، كما اتضح لنا وجود المياه الجوفية بكميات كافية».

ويبلغ انتاج المزرعة من الحليب حاليا ١٧,٥ طنا. ونحن بصدد اضافة عدد من خطوط الانتاج الجديدة الى المصنع لانتاج اللبنة والآيسكريم. وتبلغ المساحة الاجمالية للمزرعة ٤ ملايين متر مربع ولدينا الآن ٣٢ حظيرة للابقار الحلوب والجاف والطلائق وتبلغ طاقة الحلّابة الآلية ٤٨ بقرة في كل دفعة. ويعمل في المزرعة والمصنع وقطاع المبيعات فريق مكون من مائة شخص ما بين عامل ومهندس واختصاصي وفني مختبرات وموزع تساندهم ثلاث عشرة سيارة. اما المساحة الحالية للمصنع فتبلغ ١٨٠٠ متر مربع، بما في ذلك المختبر الفني حيث يتولى فحص المنتجات باستمرار قبل التصريح لها بالخروج من المصنع الى المستهلكين.

ويوجد في المنطقة الوسطى عدد كبير من مصانع منتجات الالبان منها: الصافي، ونادك، والمراعي، والبان البندرية، وسنابل، والعزيزية، ومشروع الخرج الزراعي. ويعتمد بعضها على الحليب الجاف في تصنيع منتجاته بينما يعتمد البعض الآخر على الحليب الطازج

١ — عملية حلب الابقار آليا، عملية حديثة، وهي شائعة في جميع مزارع الابقار في المملكة.

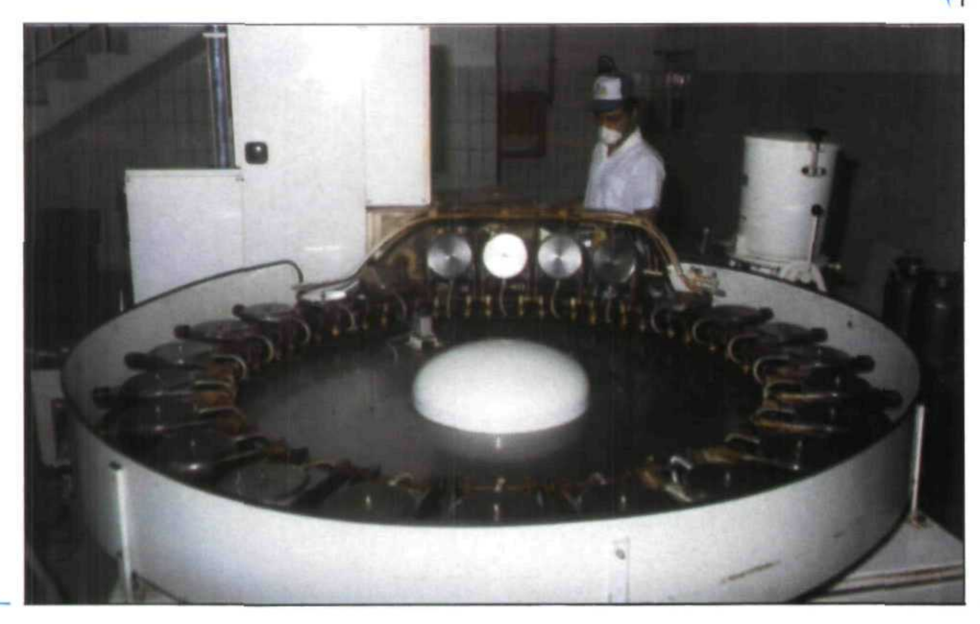
٢ — جهاز حديث لانتاج البسكويت على شكل قمع والمستخدم في صناعة الآيسكريم وتنتج هذه الآلة الفريدة من نوعها الف قطعة بسكويت في الساعة.

٣ — جهاز خاص بتعبئة اللبنة آليا في شركة جمجوم فورموست المحدودة بجدة.

٤ — وعاء ضخم يعد فيه الحليب الخاص بانتاج أنواع الجبن الأبيض.

٥ — جهاز ضخم لتعبئة لبن الزبادي حيث تبلغ طاقته ١٥٠٠ لتر من الحليب في الساعة.

٢



الذي تنتجه مزارع الابقار التابعة للمشروع.
وقد قامت القافلة بجولة في المصانع التالية:

الشَركة العربيّة السّعُودية للزَراعَة وانتَاج الألبَان الصَافي

تعتبر هذه الشركة من اكبر الشركات في المملكة على الاطلاق، وهي تعنى بتربية الأبقار وانتاج الالبان ومشتقاتها. وتعد المزرعة التابعة لها واحدة من اكبر مزارع الأبقار في العالم حيث تضم ١٦٠٠٠ رأس من الابقار منها الحلوب والجاف والطلائق والعجول، وتبلغ مساحتها ٢٥٠٠ هكتار يزرع منها حاليا حوالي ١٩٦٠ هكتارا بالبرسيم والشوفان وحشيشة السودان. وقد انشىء المشروع في سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) وبدأ الانتاج الفعلي من الألبان ومشتقاتها في سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ويبلغ رأس المال المدفوع ١٠٠ مليون ريال. وتقع المزرعة والمصنع في الخرج على الطريق المتجه الى حرض، ويبلغ الانتاج الكلي من الحليب الطازج يوميا اكثر من ١٠٠ طن. والمزرعة مقسمة الى خمس حظائر كبيرة، تشتمل الواحدة منها على عدد من الحظائر وكل حظيرة تأوي ١٥٠ رأسا من البقر.

وتضم المزرعة ١٧ حلّابة آليـة تقوم بحلب ٣٢٢ بقرة في الفترة الواحدة، وتستمر عملية الحلب من ١٨ الى ٢٠ ساعة يوميا. ومن المتوقع ان يصل عدد الأبقار بعد اربع سنوات تقريبا الى ٢١٠٠٠ رأس. وقد تم حفر ٥٤ بئرا ارتوازية لأغراض الري المحوري. ويتولى عملية الري هذه ٤٩ جهازا. وقد زود المصنع بأحدث المعدات واكثرها تقنية في هذا المجال، وتبلغ الطاقة الانتاجية القصوى للمصنع ٢٠٠ طن يوميا. ويبلغ عدد العاملين في المزرعة والمصنع ٥٢٠ شخصا ما بين اداري وفني وعامل. وقد زود المشروع بمختبرين يقوم بتشغيلهما اختصاصيون من ذوي الخبرة. كما تمتلك الشركة اسطولا من السيارات، وتغطي منتجاتها المنطقة الوسطى باكملها والمنطقة الشرقية وتصل ايضا الى جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

٣



٤



٥



الشركة الوطنية للتنمية الزراعية - نادك

يقع مشروع «نادك» لانتاج الالبان ومشتقاتها في منطقة حرض على بعد ٢٨٠ كيلومترا جنوب شرق الرياض. ويضم المشروع مزرعة للابقار ومصنعا لمنتجات الالبان الطازجة. ويبلغ عدد الابقار حاليا ١١٥٠ رأسا، اكثر من نصفها من البقر الحلوب، وهي تدر حوالي ٦٠٠٠ لتر من الحليب يوميا وهي الكمية التي يتولى المصنع تصنيعها الى منتجات الالبان.

انشيء المشروع سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ويجري حاليا اقامة منشآت حديثة تضم مصنعا حديثا لمنتجات الالبان بطاقة انتاجية تبلغ ٥٠٠٠٠ لتر في اليوم، وحظائر جديدة للابقار روعي فيها الجودة والظروف البيئية للمنطقة.

ويبلغ الانتاج اليومي من الالبان حاليا حوالي ٦٠٠٠ لتر من الحليب الطازج تتم معالجتها وتصنيعها الى حليب الشرب ولبن الشرب واللبن الزبادي واللبنة. وتقوم الشركة بتسويق منتجاتها في المنطقة الوسطى من المملكة. ويبلغ عدد العاملين في المزرعة والمصنع والمرافق الأخرى التابعة للمشروع حوالي ٢٣٠ شخصا بين إداري وفني وعامل وتبلغ المساحة المزروعة بالبرسيم وحشيشة الرودس ١٢٠٠ هكتار، وهناك عدد من الآبار الارتوازية وأجهزة الري المحورية.

مشروع الخرج الزراعي

وهو أحد المشاريع التابعة لوزارة الزراعة والمياه، ومن أقدم المشاريع في صناعة الالبان في المملكة. ويرجع تاريخ اقامة المشروع الى سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، وكان آنذاك يضم عددا محدودا من الابقار وينتج بالتالي عددا محدودا من صناديق الالبان والحليب الطازج.

وقد جرى مؤخرا تطوير المشروع وتحديثه وتم بناء مصنع جديد لمنتجات الالبان زود بعدد من الآلات المتطورة. ويبلغ انتاج المصنع الجديد حوالي ٩ آلاف لتر من حليب الشرب ولبن الشرب، وسيجري قريبا انتاج اللبنة. وجميع منتجاته من الحليب الطازج.

ويتبع المشروع مزرعة للابقار تبلغ مساحتها الاجمالية ١٥٠٠ هكتار تجري زراعتها بالبرسيم وحشيشة الرودس والشوفان وهي قادرة على تأمين الغذاء للابقار الموجودة في المزرعة والتي يصل عددها الى ١٣٠٠ رأس من نوع «الفريزيان» و «الهولستاين». وتتم عملية الحلب آليا حيث يندفع الحليب عبر انابيب من الفولاذ الذي لا يصدأ الى خزان ومن ثم الى المصنع حيث تجرى بسترته وتعليبه حسب أحدث الأنظمة والقواعد الصحية. ويعمل في المصنع والمزرعة والمرافق الأخرى التابعة حوالي ١١٥ شخصا ما بين إداري وفني وعامل. كما زود المصنع بمختبر حديث لمراقبة وفحص الانتاج.

تقنية تصنيع الحليب

الحليب الجاف: هو في الاصل حليب سائل طازج جرى تجفيفه ليسهل تخزينه وشحنه ومناولته، وهو يخضع في تصنيعه كمنتجات البان للقواعد والنظم ذاتها التي تتم بموجبها مناولة الحليب الطازج، ومنه الحليب

الجاف الكامل الدسم، والخالي من الدسم، ويتم خلطه في أوعية كبيرة على شكل قمع حيث يتصل باسفله انبوب ينتقل عبره الحليب الجاف والماء معا الى خزانات بداخلها خفاقات تتولى خفق الحليب مع الماء لمدة خمس عشرة دقيقة، ثم يندفع الخليط بعد تجانسه الى أجهزة البسترة، ومن ثم الى معدات تصنيع الحليب المعقمة ليصار الى منتجات حسب الطلب.

الحليب الطازج: ويحصل عليه من الابقار والاغنام غالبا ويكون في العادة حاملا للجراثيم، واذا ما تركت هذه الجراثيم في الحليب فانها تتكاثر وبالتالي تشكل خطرا على الصحة. لذلك فان الحليب الطازج لا يشرب خاما. وقد كانت العادة في الماضي، أي قبل التعرف الى طرق اعداد الحليب وتصنيعه، ان تقوم ربات البيوت بغلي الحليب مدة من الزمن ثم تركه ليبرد، وبهذا تكون قد قضت على الكثير من الجراثيم الموجودة في الحليب الطازج. وعلى الرغم من ان عملية غلي الحليب تؤدي الى تكسير البروتينات والدهنيات الموجودة فيه، فانها كانت الطريقة الوحيدة المعروفة آنذاك وظلت متبعة الى ان عرفت طريقة البسترة على يد العالم الفرنسي «لويس باستير — Louis Paster» أحد رواد علم الجراثيم. و «البسترة — Pasturisation» هي عملية فنية يتم بواسطتها تصفية الحليب وتنقيته وتنظيفه، ثم تسخينه الى درجة حرارة ١٦١ فرنهايت لمدة خمس عشرة ثانية ثم تبريده بعد ذلك الى درجة حرارة مقدارها ٥٠ درجة فرنهايت، وهي ما تعرف بطريقة ايصال الحليب الى درجة حرارة عالية في وقت قصير: «High Temperature - Short Time»، وتؤدي هذه الطريقة الى القضاء على اكثر من ٩٩ في المائة من الجراثيم الموجودة اصلا في الحليب.

ويحفظ الحليب المبستر في الثلاجة مدة اسبوع دون ان يشكل خطرا على الصحة.

٢



١ — بعض منتجات الالبان في مصنع حلواني اخوان بجدة.

٢ — جهاز حديث لتعبئة الحليب في مزرعة الخرج التابعة لوزارة الزراعة.

واذا ما بقي مدة اطول من هذه الفترة، حتى ولو كان محفوظا في الثلاجة، فان الجراثيم تتكاثر من جديد عن طريق النمو السريع مما يجعله غير صالح للشرب.

التعقيم

لعل أفضل طرق التعقيم هي تلك التي تتم بالبخار، وهي الطريقة المتبعة لدى مصانع منتجات الالبان في المملكة، حيث يتم بها قتل الجراثيم الضارة وغير الضارة الموجودة في الحليب. والجدير بالذكر ان الحليب المعقم يمكن ان يظل صالحا للاستخدام مددا تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشهر شريطة ان يحفظ تحت درجة حرارة عادية، وان تكون تعبئته قد تمت تحت ظروف صحية معقمة، وهذا يعني خلو معدات التعبئة من أية جراثيم، كما يجب عدم تعريض الحليب المعبأ الى أشعة الشمس.

اللبن الزبادي: تتم بسترة الحليب على درجة ٩٠ مئوية لفترة ثلاث دقائق يتم خلالها القضاء على حوالي ٩٠ في المائة من الجراثيم الموجودة فيه، ثم يبرد الى درجة مقدارها ٤٥ مئوية ويضاف اليه البادىء وهـو مـا يعرف بـ «الروبة»، ثم يعبأ بعد ذلك في أوعية ذات احجام وقياسات مختلفة وذلك وفقا لاحتياجات السوق المحلية، ثم تنقل هذه الأوعية الى غرفة التبريد حيث تبقى مدة تصل الى ٢٤ ساعة. وتؤخذ عينات من المنتجات المصنعة بشكل دوري مستمر الى المختبرات التابعة لمصانع منتجات الالبان لفحصها والتأكد من خلوها من الجراثيم، اضافة الى الجودة النوعية.

وتشمل الاختبارات التي تدخل ضمن نظام الرقابة المستمرة على جودة المنتجات:

* اختبار كفاءة عملية البسترة.
* اختبار البادىء وهو ما يعرف بالروبة والحموضة والتوازن البكتيري.
* اختبار نسبة المادة الدسمة والحموضة قبـل الـزرع.
* الاختبارات العضوية النهائية.

اما اختبارات المنتج النهائي فتشمل:

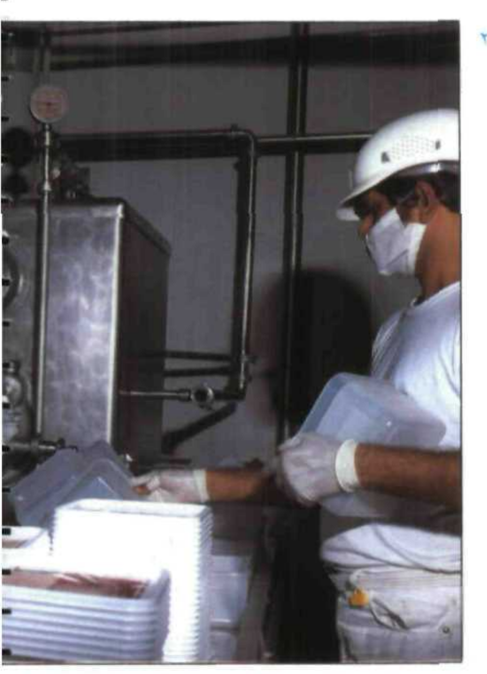
* اختبارات الحمولة البكتيرية الكلية والخمائر ومجموعة الاندولوجين.
* اختبارات «Elcoli» واختبار «Staphylococcus» المكور العنقودي.

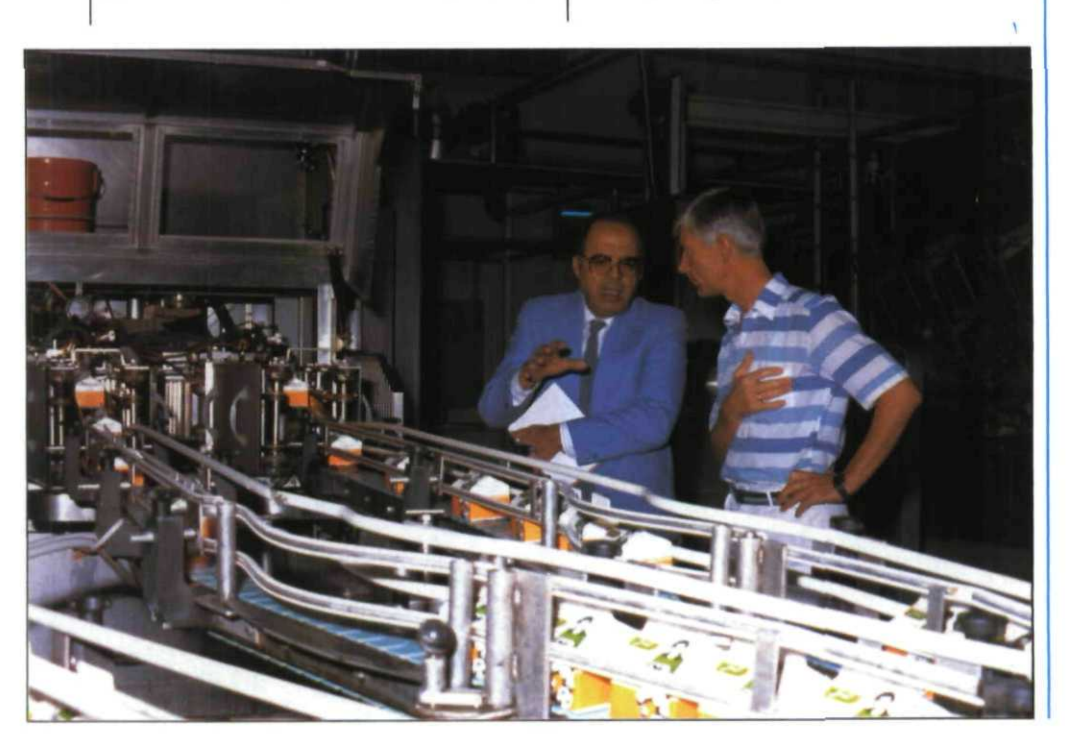
الجبن الأبيض

يتم تصنيع الجبن الابيض من الحليب المبستر على درجة ٧٢ مئوية لفترة ١٦ ثانية ثم يمر بمراحل متعددة شأنه في ذلك شأن اللبن الزبادي، ثم يصب الحليب في اوعية مستطيلة ويترك لتتم عملية التفاعلات.

وبعد ... هذه لمحة سريعة عن تطور صناعة منتجات الالبان في مختلف مناطق المملكة والتي تمثل احدى الصناعات الغذائية الرئيسية التي تسهم في تحقيق الاهداف الطموحة نحو توفير الأمن الغذائي في ربوع هذا البلد الكريم □

تصوير: **شيخ أمين**
عبدالله دبيس
خدمات التصوير الوطنية





١ ـــ تعبئة الحليب الطازج بواسطة معدات حديثة وبصورة تلقائية في الشركة العربية السعودية للزراعة وانتاج الالبان «الصافي».

٢ ـــ احدى مراحل اعداد الآيسكريم تتم وسط الاحتياطات الصحية اللازمة.

٣

٤





٣ ــ أحد أجهزة الري المحوري المستخدمة في مزرعة العثمان بالاحساء.

٤ ــ آلة حديثة لتعبئة الحليب في اكياس من النايلون تبلغ سعة الواحد منها لترا واحدا.

ربيع ... البلبل الغريد

شعر : شريف قاسم / نجران

في زهو صبح هبَّ من قلق العنا   يسعى الهوينا بلبل غرِّيد
متلفت النظرات ما بين الربا   في مقلتيه .. من السؤال جديد
يرنو ويبحث عن ربيع لم يزل   كالحلم يشرق بهجة ويجود
حجبته أوراق الخريف ولم تدع   ألقا يفيض بظله ... الترديد
قد نام حتى ملَّ فلسفة الدجى   وكواه ـ في الدنيا ـ السنا المفقود
فعلى مناكبه النديَّة .. حملها   وعلى هواه من الظلام قيود
تتواثب الأحلام في آماقه   وتفوح بالطيف الوريف ورود
ويصد عن طمع الطيور اذا زها   واخضرَّ ما بين المرابع عود

* * *

يا بلبل الأفاق الذي ما عابه   هذا التلبُّد والدجى الممدود
فجناحك الخفاق في أرجائه   لعلا القوافي بالهدى معهود
ما ضَّر أن عاث اليباب بربعه   إن اليباب لحادث موؤود
لا بد أن يحظى الربيع بثوبه   والطيب يعبق بوحه المشهود
والأفق طلق والأغاني حلوة   والظل في رأد الضحى ممدود
ورويُك المخضل في أفيائه   للسامرين وليلهم منشود
عد للحقول مغردا .. فيد المنى   غرست بها .. فالمعصرات تعود
لا بد أن يرث المطامح صابر   فالصبر دون ثمارها محمود
وينام من أخوت خمائل روحه   فهو الأسير الغافل المكدود
عيناه ما رأتا بزوغ ربيعه   فكأنه عن نوره مطرود

* * *

أيك الطيور .. المجد في آفاقها   والحرف والنغم الندي جنود
تنداح رغم العاصفات بدربها   لم تلوها عما تروم سدود
تهتز معمعة الحوادث حولها   هلعا وتخفق في الزحام بنود



قصة خليجية: بريق في القلب

بقلم: منذر شعار / الكويت

ابحرت السفينة من الكويت في اتجاه البحرين ، رخاء آمنة ، وعليها تجار اللؤلؤ وقد امتلأت باللآلي الثمينة صناديقهم وهميانا تهم ، وامتلأت بالرجاء والآمال نفوسهم وقلوبهم .

إنه الموسم ، وقد طافوا على سفن الغوص فأخذوا وجمعوا ، وعادوا الى الكويت ، حيث اجتمعوا الآن كلهم في هذه السفينة المريحة واتجهوا نحو البحرين لتقوم السوق الكبرى ويبيعوا لآلئهم بالأثمان الغاليات .

وجلس « عبدالعزيز » على ظهر السفينة في ضحى يوم لطيف النسمات ، فنثر لآليه على بساطه المخملي ، يتفقدها ويصنفها ويحسب أثمانها ويهيئها للعرض في السوق ، فقد أوشكت السفينة على الوصول .

ونظر في لآليه الثمينة الكثيرة مبسوطة على المخمل فأحس بسرور وأحس بقلق ، أما السرور فلكثرة اللآلي وغلائها وعظمها في السعر التجاري ، وأما القلق ، فلأنه الآن قد حمل معه ثروته كلها ، ولم يفعل « عبدالعزيز » هذا من قبل ، وانه الآن ليذكر حوار زوجه معه قبل ان يخرج من البيت :

ماذا تقول ؟ تحمل معك ثروتك كلها ؟؟!

ـــ كلها والله .

ـــ كلها ؟؟!! كل اللآلي الثمينات ؟؟!!

ـــ نعم ، وانها اليوم لمغامرة ، والرجاء ان أربح ربحا ضخما إن شاء الله .

ـــ ما فعلت هذا من قبل ، وما فعله تاجر قبلك ، فالعادة أن التاجر يحمل معه قسما ويدع في خزانته قسما ، للاحتياط والخميرة ، وأنت تحمل معك كل ثروتك دون أي حساب لشيء .

ـــ كلها والله .. وصدق فيّ الآن قول المتنبي :

ضربت بها التيه ضرب القما
ر إما لهـــذا وإمـا لـــذا

ـــ ولماذا تفعل هذا ؟ لم تقامر مقامرة المتنبي ؟ أتقول الربح ؟؟ فانه كما يتلامح الربح تتلامح الخسارة ، يتلامح الضياع ، فهب ثروتك الآن ضاعت قبل بلوغ البحرين .

وهنا انقطع تذكر عبدالعزيز ، وأحس بنخزة في نفسه ، ثم تلفت حوله ... السفينة هادئة وادعة ، والتجار والبحارة هناك في لغط وعمل ، ومكانه الذي هو فيه هادىء ، ساكن خال من غيره من الناس ، وثروته أمامه سالمة .. فلم تهجم عليه كلمات زوجه أصلحها الله ، ولومها له في حمل ثروته كلها في هذه السفرة ، لقد رد عليها منذ أيام في الكويت وأفهمها انه علم وعلم كل التجار والطواشين أن سوق البحرين في هذا العام فائر خصيب مشتعل ، يتوقع له ربح ضخم ، ومكاسب عظيمة ، فيندم من لم يضرب فيه بكل سهامه ، والتجارة نهز ، والأرباح فرص ، والبيع والشراء مهارة وخبرة وعلم ـــ أحيانا ـــ من العلوم .

واطمأنت نفس « عبدالعزيز » الآن وهدأ هدوءا مريحا ، واللآلي امامه على بساطه المخملي تكاد أن تتكلم ، وهو يصنفها ويرتبها ويمتحنها ويرى انه الرابح غدا ربحا جزيلا ان شاء الله .

وبينا هو في عمله وتفكيره إذ نودي .

ناداه رفاقه قالوا : « الغداء يا أبو سعود » فقد حان وقت الطعام وهو في عمله وتصنيفه ، وان نثر اللآلي ليأخذ وقتا كبيرا ، وتمر الساعات والتاجر لا يدري ، فالآن هو مدعو للطعام .. وصاحوا به : هلم يا عبدالعزيز ، مالك ساكنا قاعدا .. فأشار اليهم أن سآتيكم بعد قليل ، وأراد أن ينهي عمله ويعيد اللآلي الى صناديقه ويقوم للغداء ، لكن التجار أشفقوا عليه من التأخير فأرسلوا خادما يقول له : إن شئت أحضرت لك الطعام الى هنا فتأكل ثم تعود لعملك ولا تقطعه ، فاستحسن « عبدالعزيز » هذا ورضي به ، وذهب الخادم ثم رجع بالطعام ، وما كان الطعام يومئذ ؟؟ كان سمكا ، فجاء الخادم فمد فوق لآلي « عبدالعزيز » بساطا من جلد ، ثم وضع فوقه السمك والخبز وتوابعهما ، فكان ذلك البساط الجلدي سفرة عجيبة من فوق ثروة من اللآلي .

وعاد الخادم لعمله وأكل « عبدالعزيز » يومئذ غداء شهيا . سمكا لذيذا من تحته لآلي جواهر ، وانه ليسمع من محله الساكن لغط التجار آكلين ، وحركة السفينة في هذه الساعة المتحركة من الظهيرة .. وبعد قليل انتهى من طعامه ، فشرب الماء ، ثم قام ليغسل يديه ، وكان محل الماء عند التجار هناك .. فذهب .. وبقي مكانه فارغا .. بقايا سمك وخبز على سفرة من تحتها ثروة عظمى غير ظاهرة .. وبدأ «عبدالعزيز» في غسل يديه، بينما جاء خادم آخر غير الأول الى سفرة عبدالعزيز لينظفها، فمد يديه الى أسفل السفرة.. فنزلتا الى الأسفل جدا وأمسكتا بالبساط المخملي ولم يدر، ثم بسرعة طوى كل ذلك ونهض فانحاز نحو طرف السفينة وطوح بما حمل في البحر .. وأراد الرجوع الى حيث كان ليتم أعماله. إذ وجد أمامه عبدالعزيز الذي صعق للمنظر والحدث الذي رأى بسرعة البرق.

ـــ ويلك ماذا فعلت !

ـــ رميت بقايا طعامك في البحر ..

ـــ يا للصاعقة ، يا للمصيبة ..

ـــ لا صاعقة ولا مصيبة يا سيدي .. الجلد الذي كان عليه طعامك لا قيمة له عندنا ، ويوجد منه الكثير وانما بعث النوخذا به مع زميلي لكي ...

وقاطعه بصوت كفحيح الأفعى :

ـــ ويلك ما من أجل الجلد أقول ما أقول . ولكن كان تحت الجلد بساط لآلئي كلها يا أحمق ..

ـــ ... ماذا ؟ ... لآلئك .. أنا ؟ .. و و و ولكن ....

وهنا أحس « عبدالعزيز » بخطئه . خطئه في أن كشف للخادم عن حقيقة ما تحت بقايا الطعام .. فالآن هو يعرف ، وكان من الأصوب ألا يعرف ..

وهنا تيقظ « عبدالعزيز » وبانت مهارته الكبيرة في التصرف ، وفي أنه أمسك نفسه وأعصابه إمساكا هائلا ففكر ـــ وبركان المصيبة ملتهب ـــ أحسن تفكير وأكثره برودة ، وهنا ظهرت هذه النفس البحرية الخليجية ، الواعية الرصينة ، التي تقع عليها الأحداث فلا تمزقها ، وتطؤها المصائب فلا تطفئها ، ويلفها إعصار الزمان فكأنما لفها حرير ...

بسرعة البرق ، فكر « عبدالعزيز » ولمعت في ذهنه خطة ، وجرت عملية تفكير سريعة في عقله .. وانبعثت الى ادراكه وشفتيه ، فقال للخادم من فوره وهو لا يزال في تلعثم مقترف الجريمة :

ـــ اسمع ، لا أريد منك شيئا ، ولن أعاتبك على تخريب بيتي ، ما دمت ساكتا قد نسيت ما جرى ، أتفهم .. انس ما حدث ، وكأنه لم يكن ، واذهب فتصرف في السفينة عاملا عملك كأنك رميت بقايا طعامي فقط ، ولا تخبر مخلوقا بما حدث ، فان علمت انك اشرت الى ذلك أي إشارة فانظر .. واخرج «عبدالعزيز» هنا سكينا حادة ، وقال للخادم :

ـــ انظر .. أذبحك بهذه السكين إن تفوهت بكلمة .. انس ما حدث فحياتك في عافية ، وقل أو أشر بما حدث .. « أذبحك وأرمي نفسي في البحر !! بيتي انخرب انخرب .. أتفهم » ؟ !!

ولمح الخادم يومئذ في وجه « عبدالعزيز » شيئا لم يكن يعرفه من قبل ، انقلب التاجر الوديع وحشا ، والعينان الوادعتان جمرتي ثعبان .. فقال والرعب يخيفه :

ـــ أبدا .. لن أقول حرفا .

ـــ امض بسلام ...

ومضى الخادم .. وهدأ « عبدالعزيز » من فوره ، وأخفى السكين ، وألقى نظرة على البحر .. يالله .. لآليه عادت عاريات الى مستقرها .. والآن أدرك تخوف زوجه وفحوى حوارها ذاك ، المشتد المثير ...

ومشى الى التجار ، والشاي دائر.. فجلس، لم يروا منه الا الوداعة والطيبـــة اللتين يعرفونهما فيه، ونسج «عبدالعزيز» خطتـه بسرعة . وقال لزوجه سرا من حيث هو :

ـــ لن أستكين للمصيبة ، وسوف أربح ان شاء الله .. كانت الثروة معي أو لم تكن ..

ـــ كيف ؟؟ !

هكذا سمع في خلده جوابا لما قال في نفسه .. نعم .. كيف سيربح ويكسب المكاسب .. واللآلىء مادة المكسب والتجارة في البحر .. برمية أحمق .. كلا .. برمية قدر ... وجاء الجواب عن « كيف » والشاي دائر ..

قال عبدالعزيز :

ـــ اسمعوا يا جماعة ، البحرين قريبة وعندي خطة تجارية أعرضها عليكم ما رأيكم ؟

قالوا :

ـــ خير يا أبا سعود ، هات خطتك .

قال :

ـــ أفكر في أن أشتري منكم جميع ما عندكم من اللؤلؤ ، كله ، بالسعر الذي تطمعون أن تأخذوه في سوق البحرين ، فما رأيكم ؟

قالوا :

ـــ تشتري منا ؟ بالسعر الذي نريد ونطمع ؟ ولماذا ؟

قال :

ـــ سبحان الله ، لا يقال لتاجر لماذا ؟ ولكن انظروا الى مصالحكم .. كم يطمع كل منكم ان يبيع ما معه في البحرين غدا ؟ أنا أدفع المبلغ له ، السعر نفسه الآن .. فتكسبون ، إنكم بعتم وربحتم على المضمون... لا خفق في السوق ولا مساومات ولا جدل ولا ضياع أوقات .. ما رأيكم ..

قالوا بعد تفكير وتبادل نظر :

ـــ إن عرضك جيد ، وإن يكن عجيبا ، وان أي تاجر يسعد جدا إن باع بضاعته بالسعر الجيد وهو على ظهر سفينته من غير تعب الأسواق .. لكن خطتك مكشوفة تريد أن تحتكر اللؤلؤ وتكون في السوق من الكويت وحدك .. وهي مغامرة على كل حال .. لأننا سنأخذ منك سعرا عاليا قد لا يسعفك مثله في البحرين .

قال :

ـــ ذاك شأني ، هل تبيعون ؟

ـــ نعم .

فاشترى منهم كل ما معهم ، بالسعر الذي ظنوا انه جار في البحرين ، وهو سعر مربح على كل حال ، مربح لهم جدا ، فالعام الذي هم فيه عام نادر في مواسم اللؤلؤ ، عالميا ، وتمت الصفقة ، لكن « عبدالعزيز » قال لهم : سأكتب لكم صكوكا وأدفع لكم في الكويت .. قالوا : لامانع ، ولم يأبهوا لكون الدفع نقدا أو بصكوك ، فقد كان « عبدالعزيز » ثقة مليئا ، وهم يعلمون انه يحمل في هذه السفرة ثروة قل مثلها في ثروات التجار .

وتم الأمر ، وبلغوا البحرين من غد ، فدخلوا المدينة متفرجين مستريحين ، ودخل « عبدالعزيز » راجيا ستر الله ، في ظلال الآية الكريمة : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ ، فجال في السوق جولات ، واستعمل كل ما عنده من دهاء التاجر ، حسن مدخله ومخرجه ، وكرّه وفرّه ، وسماحته ورفقه .. حتى باع ما معه كله بأثمان غوال فجمع ربحا هائلا يعطي للتجار حقوقهم التي في صكوكهم . ويزيد معه ما لو كانت لآليه معه لم تغرق لكان الربح هو اياه ..

وعادت السفينة تتهادى نحو الكويت ، والخادم المذعور القائم تهدأ نفسه شيئا فشيئا ، والتجار في شاي ولغط ولعب ، قد سرهم ان أموالهم في خزانة أمينة تنفتح لهم على أبواب منازلهم في الكويت ، و « عبدالعزيز » يسرح نظره في البحر مبتسما بوداعته المعروفة ، وحين بلغت السفينة المكان الذي ظن ان ثروته غرقت فيه ، قال همسا :

ـــ اغرقي يا لآل : ان لآلىء أخرى غيرك في القلب ، ببريقها وغلائها ، تعوض الخسارة وترقع الخرق ، وتجبر الكسر ، وتكون في ليل العبوس خير الشموس □

لو كان ابن طفيل حيًا ...؟

بقلم: الأستاذ أبوطالب زيان / القاهرة

لو قدّر الله، وبعث الفيلسوف الأديب أبوبكر محمد بن عبدالملك بن طفيل، ورأى ما صنعه كثير من المفكرين في الدول الاوربية، بقصته العالمية: «حي ابن يقظان» تحت أسماء كثيرة، ومسميات جمة، لكان له الحق في الوقوف واياهم، أمام القضاء العادل، طالبا النصفة من أولئك الذين اخذوا عنه، دون اشارة اليه، أو ذكر أثره الخالد في قصته: «حي بن يقظان».

وما لنا لا نعطي الحق، لابن طفيل، وقد دخلت قصته الآداب العالمية، وعرضها للبيع كثير من الكتاب العالميين، و «ابن طفيل» ينام في المكان الذي اختارته له الأقدار، يغط تحت صفائح التراب، ويُنهب أثره تحت سمع العالم وبصره..!

ولا يجمح بنا الخيال بعيدا، إذا عرفنا: أنه قد انتزع رؤية هذه القصة الفلسفية: «توما الاكويني» و «اسبينوزا» و «البرت الكبير» وحشوا بها موضوعاتهم وعالجوا بها كثيرا من جروحاتهم التي لم تكن تنكأ لولاها..!!

وقد حولها «كبلنج» و «بيروفز» الى أفلام: طرزان والأدغال، فضلا عن أن «دي فو» و «روسو» و «جاراسيان»، قد نقلوا عن قصة «حي بن يقظان»، أحداث وشخوص رواياتهم المتعددة التي تحمل أسماءهم الضخمة..

والذي دفع هذا المفكر الى كتابة هذه القصة الخالدة، وما يحسب انها ستكون نهبا مباحا دون ارعواء من أحد، أو خشية افتضاح أمر الذين سلبوا هذا الرجل أثره، أو نهبوه ثروته دون ردها اليه، هو الكشف عن حقائق الوجود، وأسرار الحكمة، التي تكون في نهاية المطاف: الاتفاق بين الدين والفلسفة، في قصة جميلة، وقالب أهدى الى المعرفة، لاسيما إذا كان مستأنسا بالقرآن الكريم، مؤثرا الأسلوب الرمزي بوجه عام، راميا بذلك، الى تمجيد العقل الانساني، معليا شأنه، متخذا التفكير فريضة اسلامية...

يروي «ابن طفيل» قصة الغلام الذي أودعته امه في تابوت، بعد أن أحكمت إغلاقه، وألقته في البحر، حرصا على عدم اكتشاف امرها لشقيقها: الملك، الذي كان يعارض زواجها من فرد من أفراد الشعب، متأثرا بما ورد في القرآن الكريم، عن «موسى» عليه السلام، حين ألقته أمه في اليم، خوفا عليه من «فرعون». ويروي «ابن طفيل» في قصته: كيف حمل التيار الطفل داخل الصندوق، وقذف به الى جزيرة مهجورة، لا يسكنها أحد، فتعهده غزالة وتصير له أما بارضاعها له، وحنانها عليه.. ويمضي الطفل سبعة أسابيع، كل منها سبع سنين، متأثرا بحلم البقرات السبع السمان، اللاتي يأكلهن السبع العجاف، وهو في كل ذلك: يرمي الى مرور سبع سنوات مخصبة، تعقبها سبع سنين مجدبة، كما ذكر في القرآن الكريم..

ووصل السن للصبي الى تسعة وأربعين عاما، تدرج أثناءها في مدارج المعرفة من المحسوس الى المعقول، ومن الجزئي الى الكلي، ومن البسيط الى المركب، ومن العرض الى الجوهر، ومن المعلول الى العلة، حتى يصل بعقله الى علة العلل، وهو «الله» سبحانه وتعالى..

ومن باب المصادفة، انه قد اقتحم الجزيرة، في ذلك الوقت، رجل عابد، يدعى «ابسال»، جاء من جزيرة بعيدة، وهو في الوقت نفسه يدين بملة سماوية، يعلمه السلوك الانساني، وينطقه بالكلام، وان كان لم يلبث ان اكتشف في الطريق الذي ابتكره «ابن الجزيرة» المهجورة، تعليلا علويا للدين الذي يعتقده.. وهنا لم يمهله، بل حمله معه الى تلك الجزيرة النائية التي كان يحكمها الملك: «سلامان»، ويطلب منه ان يكشف لأهل الجزيرة، عن حقائق الوجود العليا، التي توصل اليها بعقله.. غير أن من سمع منه ذلك، لم يقتنع به ولم يرض عنه.. فلم يجد «أبسال» العابد، «حي بن يقظان»، بدا من الاعتراف بأن الوصول الى الحقائق العليا، لم تخلق لكل الناس، اذ انهم مربوطون بأغلال الحواس، ويكون الادراك بالحكمة التي تعمل على صياغة هذه الحقائق في قوالب الأديان المنزلة،

لذلك لم يكن هناك مفر من الرجوع الى تلك الجزيرة المهجورة...

ولكن هل أثرت هذه القصة العالمية، في الفكر العالمي..؟

يقول كثير من المفكرين: ان «ابن طفيل» قد بنى قصته على دعامتين أساسيتين، أولاهما: المحتوى الفلسفي الذي ضمنه المؤلف أثره الخالد، وثانيتهما: الشكل القصصي الذي اختاره «ابن طفيل»، وسيلة الى عقل وقلب المطالع لقصته، ولهذا كان لها من التأثير، ما تجاوز المفكرين والفلاسفة، الى الروائيين الذين تمثلوا في هذه المجموعة الباحثة العالمية..

فقد نقل موسى بن ميمون — في كتابه: «دلائل الحائرين»، آراء «ابن طفيل»، التي تقول بقدم العالم وحدوثه وصفات الله. كما جاء: «توما الاكويني»، وهو من اكبر فلاسفة العصور الوسطى، بما فاه به «ابن طفيل» من أن العقل والايمان، يتعلق كلاهما بغاية واحدة، وان كان يصلان اليها عن طريقين، يختلف كل منهما عن الآخر، كل الاختلاف..

وقال: «البرت الكبير»، ان العقل والوحي، لا يتطابقان ولا يتعارضان، وان كانا يتفقان.. وذلك: فان بعض العقائد، وان كانت لا تتعارض مع العقل، الا انها وراء متناوله، وهذا ما دل عليه ودونه «ابن طفيل».

وأكد «اسبينوزا»، اهتمامه بهذا الباحث، حتى انه قد نقل قصته الى «الهولندية»، بل كان رده على الذين يقولون بأن العقل أدنى مرتبة من التقليد الديني، مبنيا على ما قال به «ابن طفيل» نفسه..

وتأثر «بلتسار جراسيان»، بهذا المفكر، مما جعله يبدأ أولى أعماله الأدبية، منسوجة على منوال «حي بن يقظان»، وذلك في قصته «الكريتون».. اذ قد جعل القسم الاول منها، في «ربوع الطفولة»، والثاني في «خريفها» والثالث في «شتاء الشيخوخة»، متعمدا في هذه القصة، نقد العادات والتقاليد في ذلك العصر، الذي عاش فيه، مما تمخض عنها هذه القصة الماتعة.

وفي الحق، ان كثيرا من النقاد، وفي مقدمتهم «جوتيه»، و«دي بور»، و«أرنست بيكر»، و«وليم كيربي»، قد تنبهوا في أعمالهم الى ان كثيرا من الفلاسفة والباحثين، في عصر «دانيل دي فو»، ما بين عامي ١٦٦٠ — ١٧٣١م، قد أخذت جميعها من قصة «حي بن يقظان»، حتى كان هناك، التشابه التام: في الفكرة والشكل والمضمون، بل كان النقل واضحا في كثير من أعمال أولئك الكتاب والمفكرين..

ولقد جاء بعد ذلك: «جان جاك روسو»، وأخرج قصته الفلسفية، التي تحمل عنوان «اميل»، وبسط فيها رأيه في أساليب التعليم، مؤكدا: أن الانسان خيّر بطبيعته، بل قد دعا الى الرجوع بالانسان الى الطبيعة الأولى، لتنشئته تنشئة صحيحة، بعيدا عن تلك القيود الاجتماعية، التي تقف امامه حجر عثرة، في كل مناحي الحياة..

وتكاد شخصية بطل قصته «كتاب الادغال» للمفكر «كبلينج»، تتطابق وشخصية «حي بن يقظان»، فان كانت الغزالة، قد أرضعت «حي» في الغابة، فان الذئبة، أرضعت «موجلي»، غير ذلك التشابه الذي كان في التعامل مع الطبيعة التي حببت الى كلا البطلين..

على أن شخصية «طرزان» التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ونقلها الكاتب الانجليزي «بيروفز» عن قصة «ابن طفيل»، قد كان لها الأثر الواضح في الآداب العالمية، التي عرفت هذه القصة في: غرق سفينة انجليزية، أطاحت بكل من على ظهرها، نتيجة لعاصفة هوجاء، فلم تبق على شيء فيها، غير ذلك الطفل، الذي حملته الأمواج الى شاطىء غابة مهجورة من جميع المخلوقات، وان كان يسكنها جمع من القردة المختلفين في الشكل والطباع والعادات.. لكن هل يعتدي بعض من هذه القردة على هذا الطفل الرضيع؟

الحق.. لا.. فقد أحنت عليه قردة، وأحبته.. وقامت بارضاعه، وتعهدته حتى يكبر، ويصير ابنا لها، أو صديقا تعتمد عليه، ان حزبها أمر، أو وقع لها ما يقع بين فصيلاتها من المعارك الضارية، أو الاعتداء الخاطف المروع..

وهنا يكون الانسان بين القرود، يأكل كما تأكل، ويشرب مما تشرب، وان كان يختلف عنها في حكمته، وهذا ما جاء بكليته في قصة «ابن طفيل»، «حي بن يقظان».

ولا ينكر أحد، أن قصة «ابن طفيل»، قد كان لها كثير من القصص المشابهة، حيث يولد الطفل وينشأ في أحضان الطبيعة، ثم يمضي يأخذ طريقه بدافع الحس والخبرة والتجربة..

واذا ذهبنا نعدد القصص المتشابهة، التي سبق بها «ابن طفيل» وكانت عنوانا على تقدمه، فلا نجد فيها غير الدعامة الأساسية لقصة «حي بن يقظان»، والمتكأ الذي يستند اليه الكتاب في كل محاولاتهم القصصية، والفضل كل الفضل، لذلك الكاتب: الفيلسوف المفكر «ابن طفيل» □



أبو مروان عبد الملك بن زهر الأيادي
ثالث ستة من أطباء اندلسيين من أسرة "زهر" العربية

بقلم: الأستاذ أنور الرفاعي/سوريا

عده ابن رشد أول طبيب عالمي بعد جالينوس، واعتبر أثره في مغرب العالم الاسلامي كأثر ابن سينا والرازي في مشرقه.

بنــو زهـــر :

أسرة عربية تعود بنسبها الى اياد بن نزار، احدى قبائل العرب العدنانية، التي ظعنت الى العراق قبل الاسلام، ثم هاجر بعض أفرادها الى الأندلس منذ أيام الفتح الأولى. و «زهر» هو الجد الأعلى للفرع الأندلسي، وعاش في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. وتوطنت أسرته في اشبيلية. وأول أطباء هذه الأسرة هو الطبيب عبدالملك بن محمد، وكنيته أبو مروان، ومارس الطب في القيروان وتونس والقاهرة ومات في الأندلس (١٠٧٨م)، وخلفه ابنه زهر وكنيته ابو العلاء، ودرس الطب في قرطبة، والتحق ببلاط المعتمد بن عباد آخر ملوك اشبيلية من العباديين، ثم صار وزيرا ليوسف بن تاشفين الذي فتح أشبيلية وتوفي عام ١١٣١م، وخلفه ابنه ابو مروان عبدالملك الذي نكتب سيرته بمناسبة ذكرى مولده التسعمائة، وأصبح ألمع أفراد هذه الأسرة وأكبر سروري في الاسلام (اكلينيكي) بعد الرازي، لكثرة ما اعتمد على التجربة، وقد حرَّف نساخ القرون الوسطى ومترجمو كتبه اسمه الى «افنزور - Avenzoar» أو «أبمرون أفنزور Abhomeron - Avenzoar» أي أبو مروان ابن زهر، كما حرف اسم ابيه ابي العلاء الى «ابوالي - Aboali» وأبوللي - Abuleli وأبيلول - Ebilule أو الى ابوليلزور - Abulelizor والبوليزور - Albuleizor. وبعد أن درس ابو مروان الأدب والفقه وعلوم الشريعة دراسة وافية كمثقفي عصره، علمه أبوه الطب وبلغ فيه مرتبة «أستاذ» في قليل من الزمن، وبرز في تجاربه المبتكرة في الأقرباذين،

وعاصر ابن رشد الفيلسوف الأندلسي، وكانت بينهما صداقة متينة، وقيل ان ابن زهر الف بعض الكتب بنصيحة ابن رشد. وأصيب ابن زهر بما يصاب النابغون في عصر الاضطراب والخلافات السياسية وقيام الدول على انقاض دول انهارت، فلأسباب لا نعرفها، سجنه امير مراكش، وأفاده السجن بدراسات عملية على الطبقات الشعبية والفقيرة وما ينتابها من أوبئة وعلل. ولما ذهب الموحدون بملك المرابطين، اصبح ابن زهر طبيب عبدالمؤمن خليفة الموحدين، ونال منه الأعطيات مع الاكرام الزائد.

وأعقب ابنا سماه «محمد» وعلمه صنعة الطب، وكني بابي بكر، واشتهر باسم «الحفيد» لأنه ابن بن زهر، ولد في أشبيلية ومات في مراكش ١١٩٩م، وينسب اليه كتاب في أمراض العين. وولد لهذا الحفيد ابنة أصبحت طبيبة مولدة ماهرة، وخلفتها ابنتها أيضا في الطب والتوليد. أما ابن الحفيد وأخو الطبيبة المولدة فيدعى ابو محمد عبدالله بن الحفيد، وصار طبيبا ناجحا في خدمة الموحدين، وصار من بعده أصغر ولديه طبيبا، وعرف باسم ابي العلاء محمد، وعاش في أشبيلية ويمثل الجيل السادس للاطباء من أسرة زهر.

أول دراسة حديثة لعبدالملك بن زهر ومؤلفاته:

تحدثت المصادر العربية واللاتينية عن ابن زهر وأسرته في معرض حديثها عن الطب العربي الاسلامي [٢٠] وعن علماء الأندلس والمؤلفين الذين أغنوا المكتبة الأوروبية في العصور الوسطى بترجماتهم لكتب الأقدمين، أو بمؤلفاتهم الخاصة، ويمكن معرفة سيرة ابن زهر من خلال هذه الكتابات مع ما فيها من توافق مصدره نقل بعضهم من بعض، أو من اختلاف، باختلاف المصادر والروايات،

وتعدد هذه المراجع مؤلفات ابن زهر وتروي عنها الأخبار الطوال لكن أحدا منها، لم يدرس هذه المؤلفات دراسة موضوعية ليتعرف ميدانيا على ما كتبه ابن زهر، وما نقل فيه من الأقدمين، وما أوجده بنفسه نتيجة تجاربه وتحرياته، وما خالف فيه غيره من الأطباء، وما وافقهم عليه، حتى كان عام ١٩١١م حين نال المستشرق الفرنسي الطبيب غابرييل كولان لقب الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس على اطروحته ابن زهر — حياته وآثاره. وكتاب «التذكرة». لأبي العلاء زهر والد هذا الطبيب العربي الأندلسي، وكان كولان يحسن العربية ونال بها شهادة عليا، وكلف بالتدريس في كلية الآداب بالجزائر. ثم يكلف هذا المستشرق بكتابة الفصل الخاص بابن زهر في دائرة المعارف الاسلامية. وتتفتح العيون على هذا الطبيب الفذ الذي لم يكن يدانيه أحد من أطباء المغرب والأندلس، واقتسم زعامة الطب العربي مع أطباء المشرق وكان بحق امام الأطباء المسلمين المجددين والمبدعين وفي طليعة المؤلفين.

المخطوطات الباقية من مؤلفات ابن زهر:

ذكر ابن ابي اصيبعة في كتابه المشهور «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» عدة كتب لعبدالملك بن زهر، لم نعثر عليها، ويظهر انها ضاعت ولا تزال محفوظة في أمكنة لم نكتشفها بعد، منها: كتاب الزينة، وكتاب تذكرة في أمر الدواء المسهل، ومقالة في علل الكلي، ورسالة في علتي البرص والبهق، وكتاب تذكرة في علاج الأمراض، وأضاف اليها جورج سارتون في كتابه «المدخل الى تاريخ العلم» كتاب «مصباح الشفاء» وهو لم يذكر عند ابن ابي اصيبعة، وقال سارتون ان هذا المؤلف الأخير ترجم الى العبرية على يد أحد الطليان.

يضاف الى هذه القائمة من الكتب عدد من النسخ موزعة على مكتبات العالم الكبرى وهي:

١ — كتاب الاقتصاد في اصلاح الأنفس والأجساد: ومخطوطته الأصلية في المكتبة الوطنية بباريس، وهو بحاجة الى تحقيق وطبع.

٢ — كتاب التيسير في المداواة والتدبير: وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة وترجمات، منها مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس، ونسخة مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن، ونسخة ثالثة في مكتبة بودلي في اكسفورد بانكلترا، وترجمة مخطوطة بالعبرية في مكتبة ليدن بهولندا.

٣ — كتاب الأغذية وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس ونسخة منه موجودة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول، واستحصل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة على صورة منه.

دراسة هـذه المخطوطات:

لعل المستشرق الطبيب غابرييل كولان هو اكثر من تعرض لكتب ابن زهر وهو الذي نبه الى الخطأ الذي وقع فيه ابن ابي اصيبعة بنسبة كتاب التذكرة الى عبدالملك بن زهر وهو في الحقيقة من وضع ابيه ابي العلاء زهر، وسمي بالتذكرة لأن فصوله القصيرة تبدأ بكلمة «تذكر»، وقد كتبه الأب لابنه حين كان الابن في المغرب. وكولان لم يكتف بدراسة اسرة زهر ومؤلفاتهم، وذكر العلماء والفقهاء والشعراء منهم، بل درس الكتب المؤلفة دراسة علمية، واثبت في آخرها قائمة بالمصطلحات الواردة في كتب ابن زهر وما يقابلها باللغات الأوروبية الحديثة، وفعل مثل ذلك من أجل كتاب التذكرة، فقدم للمهتمين بالطب العربي، وتأليف المعاجم الطبية، خدمة كبرى، ومع ما بذله كولان من جهد مشكور فان دراسته لم تكن أكثر من «الضوء الأخضر» للباحثين والمهتمين بالتراث العلمي العربي، الذين برجوعهم الى المخطوطات الأصلية، يجدون كنزا ثمينا لمعلومات العرب لا الطبية فحسب، بل العلمية في شتى ضروب المعرفة العلمية، وفوق هذا جميعه يهتدون الى المصطلحات العربية التي استعملت ايام النهضة العربية الأولى، في هذا العصر الذي كثرت فيه المصطلحات الأجنبية، وتعب العلماء واللغويون العرب في ترجمتها، فيتوفر بذلك جهد على جامعة الدول العربية التي تهتم بالتعريب، وتوحيد المصطلحات العربية، وعلى مجامع اللغة العربية وعلى العلماء □

مراجـــع

(١) أنور الرفاعي — تاريخ العلـوم في الاسلام — دار الفكـر، ١٩٧٣ ص ١٠٩ ودائرة المعارف الاسلامية ١: ١٨٣ — ١٨٦ القاهرة ١٩٣٣.

(٢) من الذين كتبوا عن بني زهر من الكتاب العرب ابن الأبار (المقتضب من كتاب تحفة القادم) و (التكملة لكتاب الصلة) وابن ابي اصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) وعبدالواحد المراكشي (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) وياقوت الحموي (معجم الأدباء) وابن خلكان (وفيات الأعيان) وعنهم أخذ المحدثون.

أشــعة لازر ...
مبضــع نـاجع لأمـراض العـيون

يوسُف خالد أبو بشيت / هيئة التحرير



أصبح الانسان العادي عاجزا امام متابعة الانجازات العلمية السريعة والمتطورة في مختلف المجالات. فالصحف اليومية والمجلات المتخصصة ما زالت تطالعنا كل يوم بجديد في عالم الصناعة والزراعة والطب والتعليم والفضاء، وغير ذلك من شتى المجالات، فبات الواحد منا مشدوها تجاه ما يقرأ أو يسمع عن هذه الانجازات العلمية.

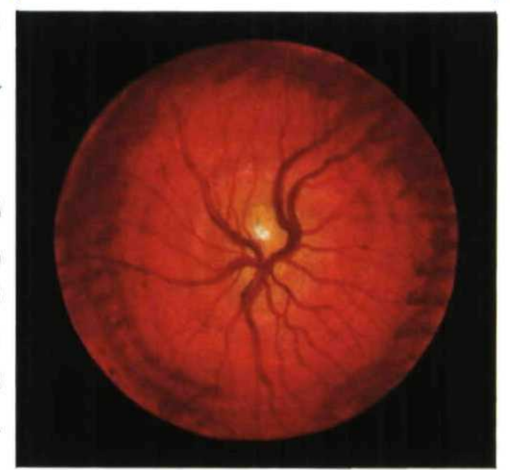
واذا أخذنا عالم الطب على حدة، فاننا نجد انه ايضا اصابه ما اصاب غيره من التطور المذهل في مجالات متشعبة، فلا نكاد نتطرق الى قسم من أقسامه، الا ونرى أنه قد أخذ بنصيبه من التقدم والانجاز .. في أدواته .. في سبل علاجه .. في نوعية العاملين فيه .. الخ.

ويدور حديثنا في هذه العجالة حول استخدام أشعة لازر في ميدان الطب، ولا سيما في تشخيص وجراحة بعض أنواع أمراض العيون. ولنسلط الضوء على كيفية استخدام أشعة لازر، التي اكتشفت في بداية الستينات من هذا القرن، في علاج حالة من حالات اصابات العين بالامراض، ولنتابع هذه القصة من خلال شخص عاش احداثها في الولايات المتحدة الامريكية :

استيقظ «البرت فارو» من منامه ذات يوم، وكعادته أخذ يفرك عينيه في محاولة لطرد النعاس منها. وبعد لحظات، شعر ان غشاوة على عينيه تحجب الرؤية، ففركها مرة تلو الأخرى ولكن دون جدوى. وفي المساء ازدادت حالته سوءا فتوجه الى الطبيب الذي اخبره ان انسدادا قد حدث في منطقة أوردة الشبكية، وهي المنطقة التي توجد فيها الانسجة العصبية الحساسة للبصر داخل مقلة العين.

وتعتبر حالة «فارو» هذه، حالة شائعة ومعروفة بين الاشخاص الذين يعانون من

أمراض ضغط الدم لسنوات عديدة. وقد ادى مرضه هذا الى انتفاخ الأوعية الدموية وتمزقها داخل الشبكية فتسبب في حدوث نزيف داخلي في العين وترسب بلازما الدم مما حجب الرؤيا.



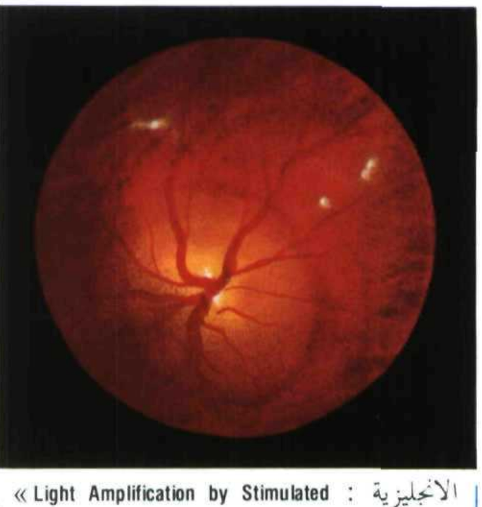
وفي المستشفى، استطاع الطبيب المعالج ايقاف انتشار المرض الى اجزاء أخرى من العين وذلك باستخدام غاز الارجون بتوليد أشعة لازر التي نفذت الى الاجزاء الدقيقة من شبكية العين، فتمكن الطبيب خلالها من تحديد نوع الاصابة. ويطلق الاطباء على هذه الطريقة الحديثة في العلاج اسم «تصوير التخثر بأشعة لازر — Laser Photocoagulation»، وهي تستخدم لمعالجة المصابين بالسكري وضغط الدم، والذين يتعرضون عادة لعطب أو تمزق في الاوعية الدموية الدقيقة لشبكية العين.

وقد أخذت أشعة لازر المولدة من غاز الارجون تحتل مكانا بارزا في الوقت الحاضر في علاج المصابين بالماء الأزرق في حدقة العين، حيث يتسنى للاطباء من خلال هذه الطريقة التخلص من السائل الزائد في الحدقة، وشفاء المقلة من الضغط العالي. كما امكن ايضا استغلال أشعة لازر في لصق اجزاء الشبكية المنفصلة أو الممزقة لدى الكثيرين من المرضى الذين فقدوا الامل في استعادة بصرهم.

ومن ناحية أخرى، يواصل العلماء بذل المزيد من الجهود الرامية الى الاستفادة من هذه الأشعة الجبارة في مجالات عديدة، بتسخير بعض أنواع الغازات كالهيليوم والنيون في توليد أشعة لازر وذلك لسبر حركة الدم في الأوعية الدقيقة للشبكية لمعرفة سرعة جريان الدم في تلك الأوعية بدقة متناهية. ومما لا شك فيه، وحسب قول أحد العلماء العاكفين على هذا المشروع، ان هذه التجارب ستعود بالنفع على مرضى السكري وارتفاع ضغط الدم، اذ عن طريقها يمكن للاطباء تشخيص كثير من الامراض لا سيما تلك المتعلقة بأمراض الدم.

ماهي أشعة لازر؟

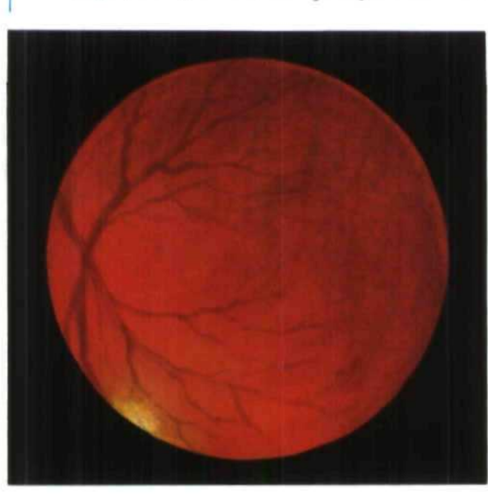
قبل أن نتعرف الى الاسباب التي أدت الى حجب الرؤية عن عين «فارو»، لا بد وان نلقي بعض الضوء على هذه الأشعة الجبارة، أشعة لازر. ففي عدد صفر ١٤٠٠هـ نشرت «**القافلة**» مقالة موسعة حول هذا الموضوع جاء فيها: «المصطلح الشائع «لازر — Laser» هو الاختزال العلمي للكلمات



الانجليزية: «Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation» وتعني تضخم الامواج الضوئية بابتعاث الاشعاع المنشط، وهو الاسم الذي اطلقه العالم الامريكي «ثيودور مايمان — Theodore Maiman» على الجهاز الذي يولد هذه الأشعة، وهو جهاز يعتبر امتدادا للمبدأ الذي بني عليه جهاز «مازر — Maser» الذي يعني تضخيم الامواج الراديوية الدقيقة بقذف اشعاعي منشط، وهو الجهاز الذي يستخدم اشعاع الذرات في بث الاشارات. اما أشعة لازر فهي من صنع الانسان، فجهاز لازر في ابسط صوره يتألف من مادة فعالة اسطوانية الشكل كقضيب من الياقوت مثلا، مصقول الطرفين، يوضع بجانبه مصباح الكتروني يسخن ذرات قطعة الياقوت بالطاقة الصادرة عنه، ومن ثم تأخذ الذرات بارسال شعاع ضوئي قوي متماسك ذي تردد ثابت في اتجاه واحد. ولا يقتصر توليد أشعة لازر على المواد الصلبة كالياقوت، بل يستعمل لبعض الغازات الخاملة والمواد السامة لذلك الغرض، كالهيليوم والنيون، والارجون، والكريبتون، والزينون.

كيف حدث الانسداد في العين المصابة؟

يقول الدكتور المعالج ان مشكلة «فارو» نشأت عندما أخذت بعض شرايين الشبكية في الانتفاخ، بسبب ارتفاع معدل ضغط الدم، مما أدى الى انفجار تلك الشرايين وانسياب الدم تحت الاوردة الدقيقة وبالتالي الى انسداد العين. وقد أحدث الانسداد نزيفا داخليا وانتفاخا في الشبكية ذاتها. وفي الوقت نفسه، تولدت مساحات صغيرة جدا ينقصها الاوكسجين ضمن المنطقة المصابة من الشبكية، وهو أمر يشكل خطرا كبيرا، على المدى الطويل، على قوة النظر في عين المريض. ومع مرور الوقت، ستجد شرايين جديدة طريقا لها في تلك المناطق، وهذا شيء غير مرغوب فيه بتاتا، حيث ان هذه الشرايين موزعة توزيعا عشوائيا مما يجعلها ضعيفة جدا غير قادرة على الاداء الجيد، ولهذا فانه يخشى ان تنفجر فتسبب نزيفا جديدا، أو ان تتقلص فتحدث تمزقا أو انفصالا كليا للشبكية.



(أ، ب، جـ) — فتحت أشعة لازر آفاقا جديدة في حقل طب جراحة العيون.

العلاج بأشعة لازر

اتضح للأطباء المشرفين على علاج الاصابة في عين المريض «فارو» ان من أفضل الطرق لانقاذ نظره هو مهاجمة تلك المساحات الصغيرة التي ينقصها الاوكسجين بإحداث ثقيبات صغيرة جدا في تلك المساحات بتسليط أضواء دقيقة من أشعة لازر. وما دامت تلك المناطق المصابة لم يصل لونها الى اللون البرتقالي أو الأصفر بعد وهي المنطقة الصغيرة جدا التي توجد فيها الشبكية، والتي تكوّن حدة الرؤية، فان المريض يشعر، عادة، بانخفاض جزء ضئيل من قوة نظره، وربما قد لا يلاحظ ذلك. ولهذا فان أشعة لازر المستخدم فيها غاز الارجون هي خير وسيلة يمكن استخدامها للقيام بهذه المهمة. فهذه الأشعة تخترق عدسة العين وانسجة القرنية الدقيقة دون الم يذكر، فتقوم بحرق الأنسجة المخضبة باللون الأحمر.

وعن طريق استخدام عدسة خاصة مهمتها العثور على المنطقة الموبوءة، والتي تغطي حوالي ربع مساحة القرنية، وجه الطبيب المعالج جهاز اللازر الى المنطقة المصابة وامطرها بحوالي ٥٠٠ بقعة ضوئية صغيرة جدا، حجم الواحدة منها أقل من ٥٠٠ ميكرون أو حوالي نصف ميليمتر. واستغرقت كل دفقة من أشعة لازر حوالي عشر الثانية، في حين استغرقت العملية بأكملها حوالي نصف ساعة لم يشعر المريض خلالها بألم، باستثناء بعض الوخزات الخفيفة في المناطق الحساسة في العين. وتعتبر عملية ارسال ٢٠٠٠ بقعة ضوئية فوق القرنية الواحدة امرا طبيعيا.

وكانت نتيجة تلك العملية ان تحسنت الرؤية تدريجيا لدى المريض، الا ان أشعة لازر لم تتمكن من ازالة الغشاوة كليا عن عين المصاب، ولكنها، أي الأشعة، تمكنت من ايقاف النزيف الداخلي. ومن المعروف لدى الاخصائيين، ان مرضى السكري، الذين يتلقون العلاج بطريقة «تصوير التخثر بأشعة لازر» لا يحققون الا نتيجة ضئيلة جدا طوال فترة العلاج. ويقول أحد الاطباء المتفائلين، انه خلال العامين القادمين ستكون هناك نتائج مشجعة بالنسبة لمرضى السكري بعد اجراء مثل هذه العمليات لهم.

ومن جهة اخرى، فان عددا من المعاهد والمؤسسات العلمية والطبية في الولايات المتحدة الامريكية جادة في اجراء التجارب المستفيضة على أشعة لازر لمعرفة سرعة اندفاع كريات الدم الحمراء خلال الشرايين الدقيقة للشبكية. اذ ان جمع مثل هذه المعلومات عن شبكية العين ستساعد الاطباء على اكتشاف بعض الامراض في وقت مبكر كأمراض السكري وضغط الدم، وماء العين الازرق، والسكتة الدماغية. ومن زاوية ثانية ما زالت التجارب جارية لمعرفة سرعة جريان الدم في المخ، وذلك عن طريق مراقبة وقياس سرعة دم الشبكية. وهذا الاختبار سيعطي المختصين معلومات دقيقة وكافية عن كمية التخدير المطلوبة لاجراء العمليات في المستقبل.



١



٢

إجراءات جديدة

تجري الآن دراسات مكثفة حول توسيع نطاق استخدام أشعة لازر في معالجة مختلف امراض العين. ومن هذه الدراسات استخدام أشعة فوق الحمراء دقيقة وطويلة يبلغ قطرها ١٥٠ ميكرون لأشعة لازر مكون من الهيليوم والنيون، وتسليطها على أحد أوعية الشبكية مدة لا تتعدى جزءا من الثانية. وتستطيع هذه الأشعة غير المكثفة اختراق الانسجة الرقيقة دون ان تتلفها أو تصيبها

١ — رسم تخيله الفنان لعملية جراحية تجرى على عين مريضة باستخدام أشعة لازر.

٢ — رسمة لشبكية عين سليمة.

بأذى، وتصل الى بؤبؤ العين ثم ترتد عنه، وفي الحال يلتقطها جهاز التصوير الاشعاعي. وتتكون هذه الأشعة المرتدة من عنصرين، احدهما اشارة منعكسة عن جدار الوعاء، والآخر اشارة منعكسة عن كريات الدم الحمراء الجارية عبر الوعاء. وما دام الدم جاريا، فان طول موجة أشعة كريات الدم الحمراء تظل في تردد دائم، وذلك بالمقارنة مع الأشعة المنعكسة عن جدار الوعاء، محدثة بذلك شكلا من التداخل بين الاشعتين يمكن قياسه بجهاز التحليل الطيفي. وبمساعدة أجهزة الكترونية دقيقة جدا يمكن الحصول على قراءة واضحة لسرعة جريان الدم، والتي تبلغ عادة حوالي سنتمترين في الثانية بين نبضات القلب، وستة سنتمترات في الثانية في النبضة الواحدة.

وهذه التقنية الجديدة التي تعرف باسم أشعة «لازر — دوبلر»، وتعمل كما تعمل أجهزة قيأس تدفق السوائل والغازات عبر الانابيب، تستطيع اكتشاف ضعف تدفق الدم في مراحله الاولى، كما تساعد على التقليل من ضحايا السكتة القلبية أو ضغط الدم عن طريق اكتشاف المرض بصورة مبكرة. وربما يستعان بها ايضا في تحديد بعض أوعية الدم التالفة أو التي لا تعمل بالصورة المطلوبة، والتي تحدث عادة لمرضى السكري.

وتعتبر هذه التقنية أكثر دقة من الطرق القديمة المتبعة في الكشف عن بواطن الاوعية والشرايين الدموية الدقيقة، وتحديد اماكنها بصورة أشمل واكثر وضوحا. وعلى العموم، فان هذه المحاولات ما هي الا تجارب جادة تحتاج الى مزيد من الدراسة والمعاينة والتمحيص قبل ان يتقرر تطبيقها بشكل سليم في العيادات الطبية.

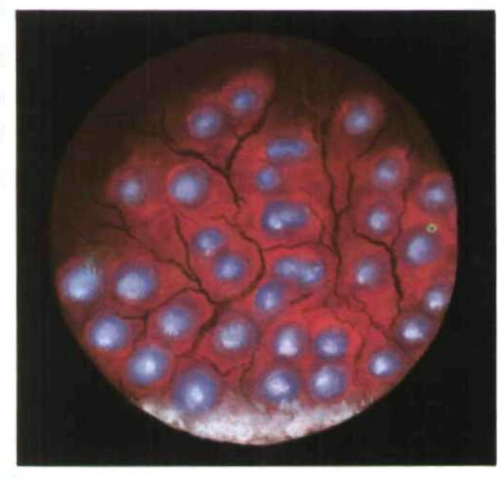
علاقة عين الانسان بجسمه

يعتبر الاطباء عين الانسان كنافذة أو آلة تصوير أو شاشة مراقبة لكونها ترصد تحركات الاعصاب والاوعية الدموية يمكن من خلالها الكشف عن معلومات مهمة عن الجسم الانساني كله.

وتبدأ عملية فحص سلامة النظر عادة من الخارج، وذلك بأن يقوم المختص بعرض لوحة خاصة امام المريض لتحديد اتجاه كل حرف من الحروف الموجودة على اللوحة. وتعقب ذلك مرحلة فحص المجال البصري وذلك عن طريق تحريك أشياء مختلفة داخل وخارج المجال البصري للمريض، الذي يحدد من خلالها أماكن الاشياء. واذا ما تبين ان المجال البصري محدود، فان ذلك قد يعني ان العين تعاني من ضغط داخلي عال سببه الماء الازرق، أو انها مصابة بورم يضغط على الاعصاب الممتدة داخل العين. وهنا يقوم الطبيب بفحص المنطقة المحيطة بأهداب العين للتأكد من عدم اصابتها بأي نوع من الأمراض، ويراقب في الوقت نفسه، مدى سرعة ومتابعة الجفنين لحركة العينين الى أسفل. اذ ان بطء حركة الجفن يدل احيانا على اعتلال الغدة الدرقية.

وقد يلاحظ الطبيب، اثناء فحصه





للعين، ان بؤبؤ أحد العينين ينكمش بينما الآخر لا يطرأ عليه أي تغيير. وفي هذه الحال يتيقن الطبيب ان هناك شيئا ما، في العين، كورم أو غير ذلك قد تسبب في اصابة بعض الاعصاب الواقعة بين العين والدماغ. والمعروف لدى الاطباء ان مثل هذا الانتفاخ في مثل تلك المنطقة من العين يؤدي الى مضاعفات من جراء الضغط على الاعصاب الممتدة في الرقبة. وتبعا لذلك، يلجأ الاطباء الى فحص المنطقة البيضاء من العين، وقنوات مجرى الدمع، والقرنية، والقزحية، والعدسة، والشبكية للتأكد من خلوها من أية اعراض مرضية.

فوجود اعداد كبيرة من كريات الدم البيضاء يعني ان هناك التهابات، ووجود الدم يعني ان هناك أنسجة ممزقة أو اوعية دموية منتفخة، كما ان وجود ترسبات من اجسام غريبة قد يعني ان العين مصابة بمرض ما □

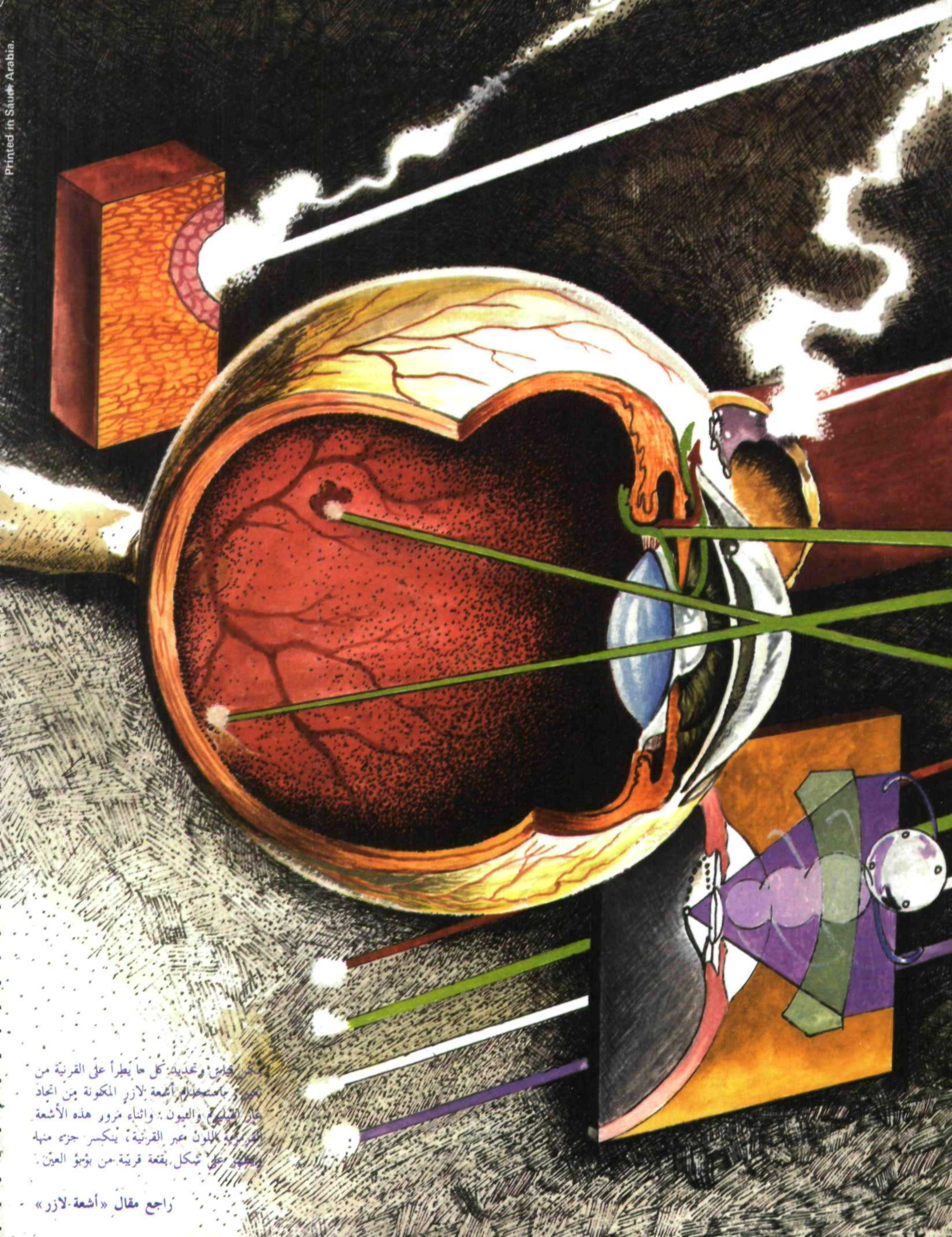
عن ساينس دايجست

١ — تستخدم أشعة لازر في تقنية الملاحة الجوية والبحرية.

٢ — رسمة لشبكية عين غير سليمة مصابة بنزيف محدود يظهر على شكل مساحات حمر صغيرة في أعلى يمين الرسمة.



طائرة الكونكورد، أسرع طائرة ركاب ابتكرها الانسان حتى الآن، وتبلغ سرعتها ١٤٥٠ ميلا في الساعة وتحلق على ارتفاع ٥٠٠٠٠ قدم .



Printed in Saudi Arabia.

يمكن قياس وتحديد كل ما يطرأ على القرنية من تغيير باستخدام أشعة لازر المكونة من اتحاد غاز الهيليوم والنيون . واثناء مرور هذه الأشعة القرمزية اللون عبر القرنية، ينكسر جزء منها ويظهر على شكل بقعة قريبة من بؤبؤ العين .

راجع مقال «أشعة لازر»